

باسل
Www.dvd4arab.com



ملف المستقبل
سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى
المؤلف
د. نبيل فاروق
السحاب الأحمر
● ما سرّ لعنة تلك اللوحة المشئومة ، المعروفة باسم (السَّحاب الأحمر) ؟
● من البارون (ملقن) ، الذى انطلق شبحه يسفك الدماء بلا رحمة ؟
● ترىٰ .. كيف يواجه (نور) ورفاقه شبحًا قاتلًا ؟.. وهل ستبتلعهم لعنة (السَّحاب الأحمر) ؟
● اقرإ التفاصيل المثيرة .. واشترك مع (نور) فى حل اللُّغز .
٤٥
الثمن فى مصر
وما يعادل دولارا أمريكيا فى سائر الدول العربية والعالم
الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
العدد القادم : الكوكب الملعون



١ ـ الشبح القاتل ..

سطع البرق يشقّ السماء الملبّدة بالغيوم كسهم من نار ، وأضاء بسطوعه تلك المنطقة المنعزلة المقفرة ، على بعد كيلومترات من منطقة (الفيوم) السياحية ، فى لمحة سريعة ، وسط ذلك المطر المنهمر بغزارة ، فى واحدة من أسوإ أمسيات شهر يناير ، عام ألفين وثمانية بعد الميلاد .. وسقطت تلك اللمحة السريعة من الضوء على شجرة قديمة متهالكة ، عارية الأغصان ، ترتفع منفردة وسط منطقة جرداء ، يلوح من مساحتها ، ومن ذلك السور القديم المتهدّم حولها ، أنها كانت يومًا مّا حديقة غنّاء ، تتصدّر ذلك القصر القديم ، الذى يعود طرازه إلى ما يزيد على ثلاثة أرباع قرن من الزمان ، والذى يبدو على عكس الحديقة متماسكًا شامخًا ، وإن أصابت عوامل التعرية والإهمال مظهره الخارجى ، فبدا كئيبًا موحشًا ، يكاد يختفى وسط ذلك الظلام الدامس ، المخيّم على المنطقة ، حتى لتستحيل رؤيته بعد غياب الشمس ، لولا تلك اللمحة السريعة فى ضوء البرق ..

ولم يكد ضوء البرق الخاطف يتلاشى ، حتى تلاشت معه صورة القصر ، مع عودة الظلام الدامس ، وبدا المكان ساكنًا ، مهجورًا ، إلَّا من صوت المطر المنهمر ..

وعلى الرغم من هذا السكون الظاهرى ، كانت هناك فى مكان ما داخل القصر ، صوت أقدام تعدُو فى ذُعر وتوتُّر بالغين ، عَبْر ممرّ طويل مظلم ، يبدو وكأنه لا نهاية له ..

كانت أقدام (سلوى) .. زوجة الرائد (نور الدين) ، والعضو البارز فى فريقه الخاص للتحرِّيات العلمية ، وقد تملَّكها رُعب هائل ، وهى تهتف باسم زوجها ، وتعدُو فى خوف شديد ، محاولةً الفرار من ذلك الموت الذى يزحف خلفها ..

وتمثَّل ذلك الموت فى خطوات هادئة ، بطيئة ، تتبعها بلا عجل ، وكأنما صاحبها واثق من ظفره بها ، مهما قاومت وجرت ..

وفجأة .. ارتطمت (سلوى) بباب خشبىّ عتيق ، وصرخت من شدة رعبها ، حينما أيقنت أنها قد بلغت نهاية الفرار ، فأخذت تصرخ فى ذُعر ، وهى تضرب الباب الخشبىّ بقبضتيها فى قوة وخوف ، والأقدام البطيئة تقترب منها ، وتقترب ، ويداها تبحثان عبثًا عن مقبض لذلك الباب الخشبىّ المتشقِّق ..

والتمع البرق مرَّة أخرى فى السماء ، وتسلَّل ضوءه عَبْر شق صغير فى الباب الخشبىّ ، واستدارت عينا (سلوى) فى الوقت نفسه ، وشهقت فى رُعب ، وهى تتطلَّع إلى العينين اللتين سقط عليهما ضوء البرق ، فبدت فيهما أبشع علامات الوحشية والشراسة والبغض ..

لقد كانت تواجه قاتلها ..

ولم يكن مبعث رُعبها هو أنها تواجه قاتلًا ، وإنما لأن هذا القاتل لم يكن بشريًّا ..

لقد كان شبحًا ..

شبحًا قاتلًا ..

* * *

بدأ كل ذلك فى اليوم السابق فقط ، حينما كانت الطبيعة نفسها تختلف ، إذ كانت السماء صافية ، والشمس تشرق فى سطوع ، وتغمر مصر كلها بدفئها ، الذى بدَّد بعضًا من برودة يناير القارصة ، فبدا الجوّ منعشًا جميلًا ، مما شجَّع (نور) و (سلوى) وابنتهما (نشوى) على تناول طعام الإفطار فى حديقة منزلهم ، والاسترخاء قليلًا تحت أشعة الشمس ، فى ذلك اليوم الذى تبدأ فيه إجازة (نور) وزوجته ..

كان كل شيء يبدو طريفًا هادئًا ، حتى عَبر ذلك الرجل الشاحب الوجه ، النحيل ، باب الحديقة ، وهو يصطحب معه اضطرابه وتوتُّره ، اللذين بدوَا شديدى الوضوح ، حتى أن (نور) عقد حاجبيه ، وقال دون أن يحرِّك ساكنًا :

ـــ يبدو أننا سنستقبل ضيفًا مجهولًا يا (سلوى) .

أدارت (سلوى) عينيها إلى الرجل ، الذى يتقدَّم من مجلسهم فى تردُّد عَبْر الحديقة ، ولم تستطع منع أو تفسير ذلك الشعور القوى بالقلق ، الذى اعتراها حينما وقعت عيناها على ملامحه الحادَّة الممصوصة ، التى جعلته أشبه بشبح حائر ، ولكن ذلك لم يمنعها من النهوض مع زوجها ، ورسم ابتسامة مرحِّبة على شفتيها ، حينما وصل إليهما الرجل ، ومدَّ يده المرتجفة يصافح (نور) ، وهو يقول فى ارتباك :

ـــ الرائد (نور الدين) .. أليس كذلك ؟

أجابه (نور) فى هدوء :

ـــ فى خدمتك يا سيِّدى .

شعرت (سلوى) ببعض الضيق ، حينما تجاهلها الرجل تمامًا ، ولكن ضيقها لم يلبث أن تحوَّل إلى شعور قوى بالشفقة ، حينما غمغم الرجل فى لهجة نمَّت عن إرهاق وتوتُّر شديدين :

ـــ هل تسمح لى بالجلوس ؟

هتف (نور) فى حماس :

ـــ بالطبع .. يمكنك اعتباره منزلك .. هل لك فى قدح من الشاى ؟

رفع الرجل عينيه إليه فى امتنان ، ثم أدار عينيه إلى (سلوى) ، مغمغمًا :

ـــ معذرة يا سيِّدى .. لقد نسيت أن ....

قاطعته بابتسامة صافية ، وهى تقول فى إشفاق وترحاب :

ـــ لا عليك يا سيِّدى .. كيف تفضِّل تناول الشاى ؟

ويبدو أن ترحابها وترحاب زوجها قد بعثا فى قلبه بعض الارتياح ، فابتسم ابتسامة شاحبة ، وهو يغمغم فى خفوت :

ـــ مركَّز مع قليل من السكر يا سيِّدتى .

أخذت (سلوى) تصبُّ قدح الشاى ، فى حين أحاط الصمت بالمجلس ، إلَّا من صوت (نشوى) ، وهى تتقافز فى الحديقة فى مرح طفولى ، غير آبهة بقدوم هذا الضيف العجيب ، الذى تناول قدح الشاى من يدى (سلوى) ، وهو يغمغم بكلمات شكر غير مفهومة .. واتَّخذت (سلوى) مجلسها إلى جوار (نور) ، الذى ظلَّ صامتًا ، يرقُب الرجل فى

هدوء ، وهو يرتشف رشفة من قدحه ، قبل أن يتنحنح الرجل ، ويرفع عينيه إلى (نور) ، ويغمغم فى حذر :

ــ يقولون إنك أبرع أهل الأرض ، فى مواجهة الألغاز الغامضة ، وسبْر أغوارها .. فهل هذا صحيح أيها الرائد (نور) ؟

أجابه (نور) فى هدوء وهو يشبِّك أصابع كفَّيه أمام وجهه :

ــ إننى رجل عادىّ ، أعمل فى مواجهة الألغاز العلمية يا سيِّدى .

سأله الرجل فى لهفة :

ــ العلمية فقط ؟!

صمت (نور) لحظة ، ثم أجاب فى هدوء :

ــ فلنقل : الغامضة .

تنهَّد الرجل فى ارتياح ، وعاد يرتشف بعض الشاى من قدحه ، قبل أن يقول :

ــ معذرة مرَّة أخرى ، فقد نسيت تقديم نفسى .. أنا (نادر فريد) .. أقيم حاليًّا فى قصر جدِّى (عبد العظيم باشا) فى الفيوم و ....

قاطعه (نور) فى هدوء :

ــ حاليًّا ؟!

ظهر الأسف على وجه (نادر) ، وغمغم :

ــ نعم .. وهذا هو سرّ قدومى إليك يا سيِّدى الرائد .

اعتدل (نور) بغتة ، وقال :

ــ لِمَ لا نقتحم الموضوع مباشرةً يا سيِّد (نادر) ؟

انتفض جسد (نادر) انتفاضة قوية ، حتى لقد كاد قدح الشاى ينسكب فوق معطفه الأنيق ، فأمسك بطرف مقعده ، وكأنَّما يحاول إيقاف ارتجافته ، قبل أن يزدرد لُعابه فى قوة ، ويقول :

ــ الموضوع هو أننى مهدَّد بالقتل أيها الرائد .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يغمغم فى حَيْرة :

ــ القتل ؟!.. ولماذا لم تذهب إلى الشُرطة الجنائية ؟

وضع (نادر) قدح الشاى جانبًا ، دون أن يتمّه ، وهو يقول فى صوت خافت مضطرب :

ــ لأن الذى يهدِّدنى بالقتل ليس رجلًا أيها الرائد .. إنه ....

بتر عبارته فجأة ، وتلفَّت حوله وهو ينكمش فى مقعده فى خوف ، قبل أن يستطرد فى خفوت شديد :

ـــ إنه شبح .

شهقت (سلوى) فى دهشة ، واتسعت عينا (نور) فى تساؤل ، قبل أن يسأله فى هدوء :

ـــ وما الذى جعلك تظنّ هذا يا سيّد (نادر) ؟

تردّد (نادر) لحظة ، ثم اندفع يقول :

ـــ سأقص عليك منذ البداية أيها الرائد ، وأرجو أن تستمع إلىّ جيّدًا .. فلن يمكننى توضيح الأمر ، إلّا إذا عُدت بالقصة إلى ما قبل منتصف القرن العشرين ، وبالتحديد إلى عام ألف وتسعمائة وأربعين .

ابتسم (نور) ، وهو يغمغم فى هدوء :

ـــ يا إلٰهى !!.. لا ريب إذن أنها قصّة طويلة للغاية .

تجاهل (نادر) ملحوظة (نور) ، وأكمل حديثه قائلًا :

ـــ فى ذلك الحين ، كان جَدّى (رحمه الله) (عبد العظيم باشا) ، واحدًا من أبرز رجال المجتمع فى مصر ، ولكن الجانب الأكبر من علاقاته كان يميل إلى الإنجليز ، الذين كانوا يحتلّون مصر فى ذلك الوقت .. ولقد كان جدّى مبهورًا بأرستقراطيتهم وتعاملهم المتأنّق ، حتى أنه أثّث القصر الذى أقيم فيه الآن ، على نفس النّمط المستخدم فى المنازل الريفية الكبيرة فى

(انجلترا) .. وكان يهوى تزويده دائمًا بالتحف واللوحات ، شأن الطبقة الأرستقراطية فى (بريطانيا) .. وذات يوم عثر جدّى فى أحد المزادات على لوحة عجيبة ، أقلّ ما يمكن أن توصف به هو أنها بشعة ، على الرغم من خطوطها الأنيقة ، التى تؤكّد براعة الفنّان الذى خطّها بريشته ، ولسبب ما ، عجزنا جميعًا عن تفسيره فى أيامنا هذه ، ابتاع جَدّى اللّوحة .. واختار لها أبرز ركن فى مكتبه ، على الرغم من كلّ ذلك الضيق والخوف ، اللذين كانت تبعثه اللوحة فى نفس كل من يراها .

بتر (نادر) حديثه ، ليزدرد لُعابه فى صوت مسموع ، ثم استطرد :

ـــ وبعد سبع سنوات ، احتلّت فيها اللوحة ذلك المكان ، زاره صديق له ، من لوردات الإنجليز ، ولم يكد يرى اللّوحة ، حتى شحب وجهه ، وأصابه الذّعر ، واستنكر كثيرًا أن يحتفظ بها جَدّى ، وقال إن هٰذه اللّوحة تاريخًا مخيفًا ، يتمثّل فى مصرع كل من يمتلكها فى ظروف غامضة ، أو مصرع من يحيطون به ، وطالب جَدّى بالتخلّص منها .. ولكن جَدّى سخر من حديث صديقه ، وأصرّ على الاحتفاظ باللوحة ، على الرغم من توسُّلات صديقه وتحذيره ..

بدت القصة مثيرة للاهتمام ، حتى أن (نور) و (سلوى) أصبحا يصغيان إلى قصة (نادر) فى شغف شديد ، فى حين تابع هو بنفس الصوت المضطرب :

ـــ وفى الصباح التالى عثرنا على جَدِّى قتيلًا فى حجرة مكتبه .

غمغمت (سلوى) فى توتُّر :

ـــ قتيلًا ؟!

أومأ (نادر) برأسه إيجابًا ، وواصل قصته :

ـــ ولقد بذل رجال الشُّرطة فى ذلك الحين جهدًا خرافيًّا ، لحل غموض حادث مصرع جَدِّى ، نظرًا لكونه شخصية اجتماعية هامَّة ، ولكن جهودهم ذهبت هباءً ، وعلى الرغم منهم ، قُيِّد الحادث ضد مجهول ..

ساد الصمت لحظات ، ظهر فيها الأسف على وجه (نادر) ، قبل أن يستطرد :

ـــ ولسبب ما ، ظلَّ والدى يحتفظ بنفس اللوحة المشئومة ، بعد مصرع جَدِّى ، وإن لم يستخدم حجرة مكتبه طيلة ثلاثين عامًا ، حتى كان يوم الذكرى الثلاثين لمصرع جَدِّى ، وقضى أبى بعض الوقت فى حجرة المكتب ، ثم سمعت أمِّى ، وسمع الخدم

صوت صرخة رعب قوية ، أسرعوا إثرها إلى حجرة المكتب ، واقتحموها ، ليجدوا أبى فيها جثة هامدة ..

اعتدل (نور) ، وهو يسأله فى اهتمام :

ـــ وهل تخلَّصت أنت من اللَّوحة بعد ذلك ؟

هزَّ (نادر) رأسه فى أسف ، وقال :

ـــ لقد كنت فى الثالثة من عمرى حينما لقى أبى مصرعه ، ولقد غادرت أمِّى القصر بعدها ، وأصرَّت على العيش فى القاهرة ، وأهمل القصر تمامًا ، ولم أذهب إليه أبدًا طوال الثلاثين عامًا الماضية .. فقد أتممت دراستى فى القاهرة ، وسافرت بعدها إلى (إيطاليا) لاستكمال دراساتى ، وتوفيت أمِّى ، ولم يعدُ هناك ما يربطنى بمصر كلها .. ولقد كنت قد بدأت أشقّ طريقى بنجاح فى (روما) ، ولكن ....

توقف (نادر) عند كلمة (ولكن) ، وتضاعف اضطرابه ، مما جعل (سلوى) تسأله فى لهفة لم تستطع كتمانها :

ـــ ماذا حدث بعد ذلك يا سيِّد (نادر) ؟

لوَّح (نادر) بذراعه فى يأس ، وقال :

ـــ فجأة .. شعرت برغبة قوية فى العودة إلى مصر ، وإلى (الفيوم) بالذات ، حيث يوجد القصر .. ووجدت نفسى

فجأة ، وبلا مبرِّر واضح أُصفِّى كل أعمالى فى (روما) ، وأهرع إلى القصر .. ولم أكد أستقر فيه حتى انتبهت فجأة إلى نقطة أثارت فى قلبى كل الرعب .

وارتجف صوته ، وهو يغمغم :

ـــ لقد حضرت لألقى حتفى ، فى نفس الموعد الذى لقى فيه أبى وجَدِّى مصرعيهما .

مال (نور) وهو يسأله فى اهتمام :

ـــ نفس الموعد ؟!

ازداد ارتجاف صوت (نادر) ، وهو يجيب ..

ـــ نعم أيها الرائد .. فاليوم السادس من يناير ، تحين الذكرى الثلاثون لمصرع أبى ، والستُّون لمصرع جَدِّى .. وأنا واثق من أنها ستكون ليلة مصرعى .

عقد (نور) حاجبيه فى شدة ، وهو يتفرَّس فى ملامح (نادر) فى اهتمام ، ثم سأله فى هدوء :

ـــ ولكن ماذا تمثِّل هذه اللوحة الملعونة يا سيِّد (نادر) ؟

كان صوت (نادر) شديد الخفوت ، عظيم الاضطراب ، وهو يجيب :

ـــ إنها صورة الشَّبح يا سيِّدى الرائد .. صورة الشَّبح القاتل .

* * *

٢ ـــ ريشة مجنون ..

ـــ « ما رأيك يا (رمزى) ؟ » ..

نطق (نور) هذه العبارة فى صوت هادئ ، إلَّا أنه لم ينجح فى منع تلك القشعريرة ، التى سرَت فى أجساد (سلوى) ، و (رمزى) ، و (محمود) ، وهم يتطلَّعون إلى اللَّوحة المعلَّقة فى مكتب (عبد العظيم باشا) ..

كانت اللَّوحة شديدة البشاعة حقًّا ، حتى أن المرء يتساءل كثيرًا عن سرِّ احتفاظ الأسرة بها طيلة هذه السنوات ..

كانت عبارة عن رجل يقف وسط صحـــراء جرداء ، الصحراء منبسطة ممتدة ، برمالها الصفراء ، وتتناثر فوقها جماجم بشرية ، ملقاة فى غير تناسق ، والرجل يرتدى زيًّا يعود إلى القرن السابع عشر فى أوربا الوسطى ، ويقف هادئًا ، مستندًا إلى مقبض سيفه الرفيع ، الذى تستقر ذبابته فوق الرمال ، وعيناه تحدِّقان فى وجه المتطلِّع إلى اللوحة على نحو مخيف ..

هو مزيج من الوحشية ، والكراهية ، والشراسة ، وكأنه يحمل الموت فى أعماقه ، أمَّا السماء خلفه ، فقد كانت أكثر



لم ينجح فى منع تلك القشعريرة ، التى سرت فى أجساد (سلوى) ، و (رمزى) ، و (محمود) وهم يتطلعون إلى اللوحة المعلقة ..

بشاعة فى عينيه .. كانت ملبّدة بغيوم كثيفة ، يتوسَّطها بعض السحاب الأحمر ، الذى يبدُو للناظر وكأنهُ جرح دام فى كبد السماء ، تسيل منه الدماء فى غزارة ، ولقد أبدعت ريشة صانعها ؛ حتى ليخيَّل إلى المتأمِّل أن قطرات الدم الأحمر ستسقط من إطار اللوحة ، لتلوِّث أرض المكتب أسفلها ..

وعاد (نور) يكرِّر سؤاله فى هدوء :

ـــ ما رأيك يا (رمزى) ؟

أدار إليه (رمزى) عينيه ، وغمغم فى انفعال :

ـــ رأيى أن (عبدالعظيم باشا) كان رجلًا ساديًّا(*) ، يلذّ له رؤية الفزع فى عيون زائريه ، حينما يتأمَّلون لوحته البشعة .

ظهر الضيق على وجه (نادر) ، الذى يتابع الحوار فى صمت ، فى حين عاد (نور) يسأل (رمـــزى) فى اهتمام :

ـــ وماذا عن الشخص الذى رسم اللوحة ؟

(*) السادية : مرض نفسى يميل المصاب به إلى تعذيب الآخرين ، ويعود الاسم إلى المركيز (دى صاد) ، الذى كان يتلذّذ بتعذيب ضحاياه قبل قتلهم .

هتف (رمزى) فى سخط :

ـــ إنه مجنون ولا شك ، وربَّما كان مصابًا بالسادِيَّة أيضًا ، حتى ترسم ريشته مثل هذا المشهد البشع .

تدخَّل (نادر) ، قائلًا فى هدوء :

ـــ يقال إن أحدًا لم يرسمها يا سيِّد (رمزى) .

عقد (رمزى) حاجبيه ، وهو يقول :

ـــ أى قول أحمق هذا ؟

التقت عيون أفراد الفريق عند وجه (نادر) ، الذى بدا غاضبًا ، وهو يقول :

ـــ قول أحمق ؟!.. حسنًا يا دكتور (رمزى) .. استمع أوَّلًا إلى الأسطورة التى تدور حول لوحة (السحاب الأحمر) هذه ، قبل أن تتسرَّع بقول خاطئ .

ثم لوَّح بذراعيه ، وهو يستطرد فى انفعال :

ـــ الشخص الذى تراه فى الصورة هو البارون (ملقن) .. واحد من أبشع أهل الأرض ، فى عصور (أوربا) الوسطى .. كان يملك مقاطعة صغيرة فى (فرنسا) ، ارتكب فيها من الموبقات ما جعل (دى صاد) نفسه يبدو بالنسبة إليه مجرَّد طفل ساذج ، حتى وصلت ثورة أهل مقاطعته إلى ذروتها ، حينما

احتفل بعيد ميلاده الثلاثين بقتل طفل صغير ، فى عملية صيد وحشية .. وهنا هاجم أهل المقاطعة قصره ، واقتحموه فى غضب جارف ، وبحثوا فى كل شبر منه عن البارون (ملقن) ، الذى بدا وكأنه قد تبخرَّ ، أو تلاشى .. وعثروا فى أقبية قصره على عشرات الضحايا ، الذين سفك البارون دماءهم بلا رحمة .. وبعد أن أعياهم البحث ، عثروا فى حجرته على هذه اللوحة ، التى أطلقوا عليها اسم (السَّحاب الأحمر) ، والتى أكَّد البعض أنها البارون نفسه ، بعد أن حوَّل جسده بواسطة السِّحر إلى صورة مرسومة .

هتفت (سلوى) فى استنكار :

ـــ وهل تصدِّق هذه الخزعبلات ؟

حدجها (نادر) بنظرة باردة ، واستطرد دون أن يهتم بإجابة عبارتها الاعتراضية :

ـــ وأثارت هذه الأسطورة سخرية البعض ، واستنكار البعض الآخر ، والعديد من الجدَل ، إلَّا أن هذا لم يمنع أحد اللُّوردات الإنجليز من شرائها ، حيث لقى مصرعه بعد ثلاثين عامًا على نحو غامض ، وتبعه مصرع كل من امتلك اللوحة ، حتى والدى ، وها قد جاء دَوْرى .

ساد الصمت لحظات ، ثم غمغم (محمود) فى خفوت :

ـ لست أصدِّق هذه القصة .

لوَّح (نادر) بذراعه ، وهو يقول فى حنق :

ـ إنها ليست قصَّتى يا سيِّد (محمود) .. إنها قصَّة تداولتها صحف الڤيديو فى كل (أوربا) و ....

قاطعه (نور) فى هدوء :

ـ هذا صحيح .

التفت إليه الجميع فى دهشة ، فأشار إلى اللوحة مستطردًا :

ـ لقد زوَّدنى كمبيوتر المعلومات بكل ما كُتِبَ عن لوحة (السَّحاب الأحمر) هذه يا رفاق ، وهو يطابق تمامًا ما ذكره الأستاذ (نادر) ، فيما عدا أن اللوحة قد اختفت ، ولم تظهر للوجود منذ الربع الأول للقرن العشرين .. وأعتقد أن الباحثين لم يعلموا أنها تستقر هنا منذ عام ألف وتسعمائة وأربعين .

هتفت (سلوى) وهى تشير إلى اللوحة :

ـ هل تعنى أن قصة الشبح القاتل هذه حقيقية ؟

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

ـ إننى لم أقل ذلك يا (سلوى) .. كل ما قلته إن الأسطورة معروفة بالفعل ، وهذا لا يعنى أبدًا أنها حقيقية .

تنهَّد (نادر) ، وقال .

ـ لسنا هنا لمناقشة صحة الأسطورة أيها السادة ، وإننا هنا لمحاولة منع مصرعى .. وطبقًا للأسطورة ، ستكون أمامى ثلاثون عامًا أخرى ، لو مرَّت هذه الليلة فى سلام .

اندفع (محمود) يسأله فجأة :

ـ ولِمَ لا تغادر القصر هذه الليلة ، فينتهى كل شىء ؟

ارتجف جسد (نادر) ، وشحب وجهه ، وهو يغمغم :

ـ لا أستطيع يا سيِّد (محمود) .. لقد حاولت ، ولكن قوة رهيبة تجبرنى على البقاء .

تبادل أفراد الفريق نظرات قلقة ، ملؤها الخوف ، فى حين عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول :

ـ سنبقى جميعًا يا سيِّد (نادر) .

ثم أردف فى حزم :

ـ سنتحدَّى أسطورة الشبح القاتل ، التى صنعتها ريشة مجنون .

* * *

٣ ـ منتصف الليـــل ..

شارفت الشمس المغيب ، وبدأت تلقِى بظلال مفزعة ، حول القصر القديم ، فى حين بدأت السحب تتجمَّع فى الأفق ، منذرة بجوٍّ ممطر عاصف ، وازدادت برودة الجو ، فغمغمت (سلوى) فى صوت مرتجف :

ـ يبدو أننا سنقضى ليلة مقبضة .

لم يكن صوت (نادر) أقل ارتجافًا منها ، وهو يقول :

ـ سأبذل أقصى جهدى لتحويلها إلى ليلـة مرحـة يا سيِّدتى .

ثم نقَل بصره بين أفراد الفريق ، وهو يردف فى تردُّد :

ـ لقد دعوت ثلاثة من أصدقاء والدى القدامى ، لقضاء السهرة معنا ، حتى يبدو الأمر وكأننا نحتفل بعودتى إلى القصر .

تبادل أفراد الفريق نظرات الدهشة ، فى حين عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول :

ـ من أصدقاء والدك القدامى ؟

أومأ (نادر) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ نعم يا سيِّد (نور) .. لقد دعوت (صبرى) طبيب والدى الخاص ، و (فكرى) وكيل أعمالـه القـديم ، و (درويش) مشرف زراعته ، وثلاثتهم فى الستين من عمرهم تقريبًا ، ولقد كانوا أقرب الناس إلى أبى (رحمه الله) .

مطَّ (نور) شفتيه ، وقال :

ـ لست أدرى ما إذا كان ذلك خطوة صحيحة أم لا يا سيِّد (نادر) .. ولكن سبق السَّيف العزل ، لن يمكننا التراجع الآن .

لم يكد يتم عبارته ، حتى توقَّفت سيارة قديمة أمام القصر ، من ذلك النوع القديم ، الذى ما زال يستخدم الوقود السائل ، وهبط منها ثلاثة كهول ، أسرع (نادر) يستقبلهم فى حرارة ، وقدَّمهم إلى أفراد الفريق فى ترحاب واضح ، فى حين اهتمت عينا (نور) الفاحصتان بتفرُّسهم جيِّدًا ..

كان الدكتور (صبرى) مرحًا بسيطًا ، تملأ شفتيه باستمرار ابتسامة صافية جذَّابة ، وكانت حيويته تبدو كأنما هو أصغر من عمره بعشر سنوات على الأقل .. أما (فكرى) فقد بدا على العكس أكثر كهولة ، بشعره الأشيب ، وحاجبيه الكثيفين

المعقودين فى حَنَق لا مبررَ له .. فى حين بدا (درويش) متحفِّظًا رصينًا ، لا يميل إلى التبسُّط مثل الدكتور (صبرى) ..

ومرَّ الوقت بطيئًا ثقيلًا ، على الرغم من حديث الدكتور (صبرى) الشيِّق ، وهو يقصّ على الحاضرين ذكريات شبابه مع والد (نادر) ، ودعاباتهما معًا ، وتلك المقالب المنمَّقة ، التى كانا يتبادلانها فى روح مرحة صافية ، على الرغم من تجاوزهما الثلاثينيات من العمر .. ولقد استمع إليه الجميع فى بعض الاهتمام ، عدا (فكرى) الذى بدا متبرِّمًا طيلة الوقت .. و (درويش) الذى اكتفى بابتسامة متحفِّظة بين حين وآخر .. أما (نادر) فقد تعلَّق بصره طيلة الوقت بالساعة الكبيرة ، التى تزيِّن حائط بهو القصر الواسع ، وكأنما ينتظر تلك اللحظة التى يلتقى فيها عقربا الساعة عند أعلاها تمامًا ، معلنةً منتصف الليل تمامًا ، حيث ينتهى يوم السادس من يناير ، ويبدأ اليوم السابع ، وتنتهى الليلة بسلام ..

(نور) أيضًا كان يشاركه ذلك الاهتمام بمرور الوقت ، وإن لم يمنعه هذا من متابعة أحاديث رفاقه ، وتعليقاتهم على قصص الدكتور (صبرى) المرحة ، حتى رأى (نادر) يقبض على مسند مقعده فى قوة ، ويلهث فى انفعال ، وهو يتطلَّع إلى عقرب الدقائق الذى يتحرَّك فى بطء نحو منتصف الليل ..

لم يكن باقيًا من ليلة الخطر سوى خمس دقائق فقط ..

وفجأة .. قفز (نادر) من مقعده ، وأطلق ضحكة مرحة مفاجئة ، أدهشت الجميع ، وهو يشير إلى الساعة الكبيرة ، صائحًا فى انفعال :

ــ ها هو ذا يوم جديد ينقضى من أيام يناير أيها السادة .. انظروا إلى عقارب الساعة ، هاهى ذى تقترب من منتصف الليل .. لم يعُد باقِيًا سوى دقيقتين .

كان من الواضح أن سعادته بنجاته قد ألهبت مرحه وحماسه ، ولكنَّ مظهره بدا عجيبًا ، وهو يندفع إلى حيث تستقر الساعة ، هاتفًا فى فرح :

ــ دقيقتان وينتهى كل شىء .. ما أجمل الحياة !!

ارتسمت ابتسامة مرحة على شفتى الدكتور (صبرى) ، وحدَّق (درويش) فيما يحدث بدهشة ، فى حين عقد (فكرى) حاجبيه فى ضيق ، وقال (نور) فى حزم :

ــ دَعْنا ننتظر حتى ....

مفاجأة قوية منعت (نور) من إتمام عبارته ..

لقد قُطِعَتْ الأضواء فجأة ، وساد الظلام التام ، مقترنًا بصرخة ذُعر من بين شفتى (سلوى) ، وشهقة قوية من حنجرة (نادر) ، الذى أعقبها بهتاف مرتعد :

ـــ كلَّا .. كلَّا .. ليس الآن .. ليس قبل النهاية بدقيقتين .

صاح (نور) فى حزم :

ـــ ابقَ فى مكانك يا (نادر) .. لا تتحرَّك حتى أصل إليك و ....

مرَّة أخرى بتر (نور) عبارته ، حينما ارتفع صوت خطوات بطيئة ثقيلة ، تشقّ طريقها فى تتابع مخيف عَبْر البهو الضخم ، وصرخ (نادر) فى رعب هائل :

ـــ كلَّا .. ابتعد عنِّى .. ابتعد عنِّى .

وسمع الجميع صوت أقدامه وهو يعدُو فى ذُعر ، مغادرًا البهو ؛ وساد الهرج والمرج ، وأخذ (نور) ورفاقه ، والضيوف الثلاثة يتحرَّكون فى عصبيَّة ، والدكتور (صبرى) يهتف باحثًا عن مصدر للضوء ، و (سلوى) تلتصق بـ (نور) فى ذُعر ..

وفجأة .. انطلقت صرخة جمَّدت الدم فى عروقهم ..

صرخة تحمل صوت (نادر) مفعمًا برعب هائل عظيم ..

ولم يكد صوت الصرخة يتلاشى ، حتى عادت الأضواء دفعة واحدة ، وارتفعت دقَّات الساعة تعلن منتصف الليل تمامًا ..

* * *

كان (نور) أول من تغلَّب على ذهوله ، واندفع يفحص المكان فى اهتمام ولهفة ، فى حين ظلّ الباقون جامدين ، وفقد الدكتور (صبرى) مرحه تمامًا ، وهو يغمغم فى شحوب :

ـــ يا إلٰهى !! .. لقد .. لقد اختفى !!

هتف (نور) فجأة :

ـــ إنه لم يذهب بعيدًا .. انظروا .

أدار الجميع عيونهم إلى حيث أشار (نور) ، ورأوا بقعة صغيرة من الدم ، تلوِّث أرضية البهو ، فشهقت (سلوى) فى ذُعر ، وهى تقول :

ـــ يا إلٰهى !! .. هل قتله الشَّبح ؟

عقد (نور) حاجبيه ، قائلًا فى صرامة :

ـــ أنا واثق من أنه لم يذهب بعيدًا .

هتف الدكتور (صبرى) فى حَيْرة :

ـــ ولكن البهو لا يقود إلَّا إلى حجرة المكتب ، والسُّلَّم الذى يوصِّل إلى الطابق العلوى حيث حجرات النوم .

تبادل (نور) نظرة قلقة مع رفاقه ، ثم غمغم (رمزى) فى توتُّر :

ـــ حجرة المكتب ؟!

وازداد انعقاد حاجبى (فكرى) ، حينما رأى (نور) وفريقه يسرعون إلى حجرة المكتب ، فى حين غمغم (درويش) فى خوف :

ـ ماذا يحدث هنا ؟!

وكانت حجرة المكتب خالية تمامًا ، حينما وصل إليها (نور) ورفاقه ، وهتف (محمود) :

ـ حمدًا لله .. لقد توقَّعت أن نجد جثته هنا .

قال (نور) فى حدَّة :

ـ كان ذلك سيصدمنى فى الواقع .

وفجأة .. أطلقت (سلوى) شهقة قوية ، تنمّ عن ذُعر هائل ، فالتفت إليها (نور) ، هاتفًا فى توتُّر :

ـ ماذا حدث ؟

اتسعت عينا (سلوى) فى رُعب ، وهى تقول فى صوت مختنق :

ـ اللوحة !

التفت الجميع فى حركة حادَّة إلى حيث تعلَّقت لوحة (السَّحاب الأحمر) ، ولم يلبث الرعب أن ملأ أعماقهم حتى النخاع .. فقد كان هناك خيط من الدم يلوِّث السحاب الأحمر ، ويسيل عَبْر اللوحة ، ليعبُر إطارها ، وتتساقط قطراته

الحمراء القانية على الأرض أسفلها ، أما اللوحة نفسها فقد كانت أكثر مُدعاة للرعب ، إذ كانت تبدو بها الصحراء والسماء والجماجم البشرية والسَّحاب الأحمر ، ولكنها تفتقر إلى تفصيل هام ..

لم يكن باللوحة أدنى أثر لصورة البارون (ملفن) .. الشَّبح القاتل ..

* * *





وأسرع إلى اللوحة يتحسَّس خيط الدماء اللَّزج ، ثم لم يلبث أن عقد حاجبيه ..

٤ ـ الرُّعب ..

ـ « إنها مزحة سخيفة ! .. مزحة سخيفة ولا شك ! » ..

غمغم (محمود) بهذه العبارة فى ذُعر ، وهو يحدِّق فى اللوحة الدامية ، وبدت له غمغمته الخافتة كدوىّ البرق ، وسط السكون الذى خَيَّم على الحجرة ، والذى عاد يتخذ موقع الصدارة بعد أن انتهى من عبارته ، أضاء البرق فجأة ، وأعقبه قصف الرعد ، فانتزع الجميع من ذهولهم ، وهتف (نور) :

ـ بل هى خدعة يا (محمود) .. لا ريب أنها كذلك .

وأسرع إلى اللوحة يتحسَّس خيط الدماء اللَّزج ، ثم لم يلبث أن عقد حاجبيه ، مغمغمًا فى حَيْرة :

ـ إنها دماء حقيقية ، ومازالت دافئة .

وصل الدكتور (صبرى) و (درويش) فى هذه اللحظة إلى حجرة المكتب ، وعاد (درويش) يغمغم فى خوف :

ـ ماذا يحدث هنا بالله عليكم ؟ .. أين الأستاذ (نادر) ؟

أجابه (نور) فى عصبيَّة واضحة :

ـ هذا ما نبحث عنه يا سيِّد (درويش) .

هتف الدكتور (صبرى) فى هذه اللحظة :

ـ يا إلٰهى !!.. اللوحة المشئومة !!.. إنها ....

قاطعه (نور) فى صرامة :

ـ دَع اللوحة لما بعد يا سيِّدى ، ولنواصل بحثنا أولًا عن (نادر) .

نقَّل الدكتور (صبرى) بصره فى شحوب ، بين وجه (نور) ، واللوحة الدامية ، ثم غمغم فى توتُّر :

ـ ما دام ليس هنا ، فهو إما فى الطابق العلوى ، أو المطابخ .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول :

ـ سنبدأ البحث فى المطابخ أولًا ، ما دامت فى نفس الطابق .

هتف الدكتور (صبرى) :

ـ وسأبحث أنا فى حجرات النوم .

فى حين عاد (درويش) يغمغم فى صوت أقرب إلى البكاء :

ـ ماذا يحدث هنا بالله عليكم ؟

تلفَّت (نور) حوله ، وقال فجأة :

ـ أين السيِّد (فكرى) ؟

أشار الدكتور (صبرى) إلى خارج حجرة المكتب ، وهو يقول :

ـ إنه يجلس فى الخارج .. لقد أصابه الرُّعب ، حتى أنه لم يتحرَّك من مكانه .

أسرع (نور) إلى خارج الحجرة ، وألقى نظرة على (فكرى) ، الذى جلس فى مقعده يلهث فى قوة ، وسأله فى حِدَّة :

ـ ماذا بك يا سيِّد (فكرى) ؟

اتسعت عينا (فكرى) ، وهو يقول :

ـ إنه الانفعال أيها الرائد .. إن قلبى الكهل لم يعُد يحتمل .

حَدَجه (نور) بنظرة متشكِّكة ، قطعها صوت الدكتور (صبرى) ، وهو يقول فى حماس :

ـ سأبحث فى حجرات الطابق العلوى .

تركه (نور) يصعد فى درجات السُّلَّم فى سرعة ، وقال لرفاقه :

ـ هيَّا بنا يا رفاق ، سنبحث فى المطابخ ، وسينتظرنا السيِّدان (فكرى) و (درويش) هنا .. فلن نترك بقعة خالية ، حتى نعثر على تفسير لما حدث .

* * *

لوَّح (محمود) بذراعه ، وهو يغمغم فى توتُّر :

ـ المطابخ كلها خالية يا (نور) .

وقالت (سلوى) :

ـــ نور .. إننى أرتجف من فرط خوف ، ويخيَّل إلىَّ أن شبح البارون (ملفن) يحوم حولى أينما ذهبت .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :

ـــ أنت تعلمين أننى لا أومن بظاهرة الأشباح هذه يا (سلوى) .

سأله (رمزى) فى قلق :

ـــ ما تفسير كل ذلك إذن يا (نور) ؟

سأله (نور) فى عصبية :

ـــ ماذا تقصد بعبارة (كل ذلك) يا (رمزى) ؟ .. إننا لم نشاهد شيئًا بعد .

تبادل (رمزى) و (محمود) و (سلوى) نظرات الدهشة ، وعاد (رمزى) يغمغم :

ـــ واللوحة التى .... ؟

قاطعه (نور) فى حِدَّة :

ـــ ومن أدراك أن تلك اللوحة التى تسيل منها الدماء ، هى نفس اللوحة التى رأينا فيها صورة البارون (ملفن) ؟ .. أليس من المحتمل أن أحدهم أبدل اللوحة ، ليبث فى قلوبنا الرُّعب ؟

هزَّ (رمزى) كتفيه ، وقال :

ـــ هذا محتمل .. ولكن كيف تفسِّر اختفاء (نادر) ؟

لوَّح (نور) بكفِّه ، وهو يقول :

ـــ من أدراك أيضًا أنه لم يختف بمحض إرادته ؟

اتسعت عينا (سلوى) ، وهى تقول :

ـــ هذا يعنى أنه المسئول عن كل ....

وقبل أن تتم عبارتها ، ارتفع صوت الدكتور (صبرى) ، يهتف فى ذُعر :

ـــ لقد وجدته .. النجدة .. النجدة .. لقد وجدته .

انطلق الجميع يعدُون إلى الطابق العلوى ، حيث انطلقت صرخة الدكتور (صبرى) ، وتبعهم (فكرى) و (درويش) فى ذُعر ، ولم يلبث الجميع أن وصلوا إلى حجرة نوم (نادر) ، حيث تسمَّروا فى دهشة ، أمام مشهد جثته التى ترقد فوق سريره ، وبقعة الدم التى تلوِّث صدره ، والدكتور (صبرى) الذى يضع غطاء الفراش على جسده ، وهو يقول فى صوت باكٍ :

ـــ لقد وصلنا متأخرين أيها السادة .. لقد لقى السيِّد (نادر) مصرعه .. قُتِلَ بنصل سيف رفيع ، اخترق قلبه ومزَّقه تمامًا .

* * *

٥ ـ قصر الغموض ..

أخذ (نور) يتحرَّك فى أرجاء البهو الواسع فى عصبيَّة واضحة ، والجميع يتابعونه بأبصارهم فى قلق .. حتى توقَّف بغتة ، وانعقد حاجباه فى شدَّة ، وهو يقول :

ـ هذا مستحيل !!

ثم التفت إلى (صبرى) و (فكرى) و (درويش) ، وسألهم فى صرامة :

ـ ما معلوماتكم عن تلك اللوحة البشعة فى مكتب القصر أيها السادة ؟

هتف (درويش) فى انهيار :

ـ لست أدرى عنها شيئًا أيها الرائد .. أُقسم لك .

فى حين عقد (فكرى) حاجبيه ، وهو يقول فى حنق :

ـ لقد كان والد (نادر) وجَدُّهُ مصابين بالخَبَل ، حتى يصرًّا على الاحتفاظ بهذه اللوحة البشعة .

أما الدكتور (صبرى) ، فقال فى ألم :

ـ لقد حذَّرت والد (نادر) من مغبَّة الاحتفاظ بهذه اللوحة المشئومة ، ولكنه رفض الاستماع لنصيحتى ، وها هوذا ولده يدفع الثمن ، بعد أن ذهب هو ضحية ذلك .

ازداد انعقاد حاجبى (نور) ، وهو يواجه الدكتور (صبرى) ، قائلًا :

ـ هل تؤمن بذلك حقًّا يا سيِّدى ؟

هتف الدكتور (صبرى) :

ـ بكل تأكيد أيها الرائد .

ساد الصمت لحظات ، ثم قال (نور) فى لهجة بذل جهدًا خارقًا ليجعلها تبدو شديدة الهدوء :

ـ حسنًا أيها السادة ، سنذهب جميعًا لرؤية اللوحة ، وليخبرنى كل منكم متى رآها هكذا لآخر مرَّة ...

تبعه الجميع إلى حجرة المكتب ، ولم يكد الدكتور (صبرى) يدخلها ، حتى تراجع فى ذُعر ، وهو يشير إلى اللوحة ، هاتفًا :

ـ يا إلهى !!.. انظروا !!

وشهقت (سلوى) بدورها ، وارتجف جسدا (رمزى)

و (محمود) ، وانعقد حاجبا (فكرى) فى شدة ، وشحب وجه (درويش) ، وغمغم (نور) فى سخط :

ـ أى هراء هذا ؟

فقد كانت صورة البارون (ملقن) قد أُعيدت إلى اللوحة ، وهو يحدِّق فى وجوه المتطلعين إليها بنفس النظرة التى تحمل الوحشية والشراسة والبغض ، ولكن ذبابة سيفه لم تكن تستند إلى سطح رمال الصحراء فى هذه المرَّة ، وإنما كانت تنغرس فى جزء جديد أضيف إلى المشهد ، بألوان لا تقل براعة عن ألوان اللوحة ..

فى رأس (نادر) ..

* * *

بلغ رعب الحاضرين مبلغه ، وهم يحدِّقون فى لوحة (السَّحاب الأحمر) ، وتثاقلت الحروف على ألسنتهم فلم ينطق أحدهم ببنت شَفَة ، حتى هتف الدكتور (صبرى) فى رُعب :

ـ لقد احتوى الشَّبح جسد (نادر) فى عالمه .. لقد اختطف جسده .

صاح (نور) فى حِدَّة :

ـ كفَى ترديدًا لتلك الخزعبلات أيها الطبيب .. إن جثة (نادر) تستقر مسلوبة الروح فى الطابق العلوى .

ارتجف صوت الطبيب ، وهو يقول :

ـ أراهنك أنها لم تعُد هناك .. لقد اصطحبها البارون (ملقن) إلى لوحته .

عقد (نور) حاجبيه فى غضب ، وقال :

ـ حسنًا أيها الطبيب .. سنذهب معًا لرؤية جثة (نادر) ، لأؤكد لك أن هذه الخدعة ليست متقنة بالقدر المطلوب .

صاح الدكتور (صبرى) فى حِدَّة :

ـ لن أغادر هذه الحجرة أبدًا .

صاح (نور) فى حزم :

ـ فليكن .. سأذهب أنا وستخسر الرهان أيها الطبيب .

واندفع (نور) يغادر الحجرة فى خطوات سريعة ، وسمع الجميع صوته وهو يصعد فى درجات السُّلَّم .. فغمغمت (سلوى) ، وكأنها تحاول أن تطمئن نفسها :

ـ سيجده .. سيجده بالتأكيد .

غمغم الدكتور (صبرى) فى عناد :

ــ لن يجده ..

هتف (رمزى) فى حِدَّة :

ــ إنك لن تقنعنا أبدًا بأن هذه اللوحة عالم خاص بالأشباح والـ ....

قاطعه صوت (فكرى) ، وهو يغمغم فى سخط :

ــ ولكن هذه اللوحة ليست ....

وبتر عبارته فجأة ، فسأله (محمود) فى اهتمام :

ــ ليست ماذا يا سيِّد (فكرى) ؟

مطَّ (فكرى) شفتيه ، وقال فى برود ، وهو يبتسم فى خبث :

ــ لست أدرى .. لقد بدت لى مختلفة .

لم يكد يتم عبارته ، حتى ظهر (نور) فجأة على باب حجرة المكتب ، وهتفت (سلوى) :

ــ لقد وجدته يا (نور) .. أليس كذلك ؟

ولكن إجابته جاءت لتزيد من شحوب وجهها ورُعْبها ، وهو يقول فى حَنَق :

ــ نعم للأسف يا عزيزتى .. لقد اختفت جثة (نادر) تمامًا ..

* * *

سقطت عبارة (نور) على رءُوس الآخرين كالصاعقة ، فألقت (سلوى) جسدها فوق أقرب مقعد إليها ، وهى شاحبة الوجه ، وأدار (رمزى) و (محمود) عيونهما إلى اللوحة فى ذهول ، وغمغم الدكتور (صبرى) فى رُعب :

ــ كنت واثقًا من ذلك ، كنت واثقًا من ذلك .

وانهمرت دموع (درويش) ، وهو يكـرِّر عبارتـه التقليدية :

ــ ماذا يحدث هنا ؟

أما (فكرى) فقد شحب وجهه ، وهو يغمغم :

ــ ولكن هذا غير ممكن .. إن هذه اللوحة ..

وبتر عبارته مرَّة أخرى ، وهو يدير عينيه إلى اللوحة فى حَيْرة ، فى حين قال (نور) فى حَنَق :

ــ لست أنكر أن الأمر يبدو غامضًا مخيفًا ، ولكننى مازلت أصرّ على أنه لا يتعلَّق بالأشباح ، فهذا أمر مستحيل .

اندفع (رمزى) يقول فجأة :

ــ لماذا أيها القائد ؟

التفت إليه (نور) فى حِدَّة ، وهو يقول :

ــ هل تحاول إقناعى بوجود الأشباح يا (رمزى) ؟

عقد (رمزى) حاجبيه ، وهو يقول :

ـــ لست أقصد الأشباح التى تتصوَّرها يا (نور) ، وإنما أقصد الأشباح التى يتحدَّث عنها العلم .

هتف (نور) فى دهشة :

ـــ العلم ؟!

أسرع (محمود) يسأل (رمزى) فى اهتمام :

ـــ هل تقصد العالم الثنائى الأبعاد يا (رمزى) ؟

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يغمغم :

ـــ العالم الثنائى الأبعاد ؟!

فى حين هتف (فكرى) فى حَنَق :

ـــ ماذا تعنُون بهذا المصطلح ؟

أجابه (محمود) فى انفعال :

ـــ سأشرح لك الأمر بوسيلة مبسَّطة يا سيِّد (فكرى) .. أنت تعلم أن عالمنا يعتمد فى كل مقاييسه وأحجامه على ثلاثة أبعاد رئيسية ، وهى الطول والعرض والارتفاع .. فأى جسم فى عالمنا ، مهما صغر حجمه ، له هذه الأبعاد الثلاثة ، وهو ما يجعل كل شىء يبدو لنا مجسَّمًا .. إما بالعين المجرَّدة ، أو تحت الميكروسكوب العادىّ أو الأيونى .. لقد استنتج العلماء منذ زمن طويل وجود عوالم رباعية الأبعاد ، وأخرى ثنائية الأبعاد وهذه

الأخيرة تفتقر إلى الارتفاع ، فيتكوَّن عالمها من بعدين فقط ، الطول والعرض ، تمامًا كصورة مرسومة(*) .

اتسعت عينا (فكرى) ، وهو يقول :

ـــ هل تعنى أن هذه اللوحة قد تكون .... ؟

قاطعه (محمود) :

ـــ لست أقصد هذه اللوحة بالذات ياسيِّد (فكرى) ، وإنما أردت أن أقول إن مخلوقات العالم الثنائى الأبعاد ، مخلوقات مسطَّحة ، أشبه بالظلال ، أو الأشباح ، أو الصور المرسومة على سطح أملس .. وإن ....

بتر (محمود) عبارته فجأة .. إثر صرخة ذُعْر ، انطلقت من بين شفتى الدكتور (صبرى) ، فالتفت إليه الجميع فى توتُّر ، ورأوه يشير إلى اللوحة بأصابع مرتجفة ، وهو يقول :

ـــ لقد تحرَّك .. لقد تحرَّك ..

وقبل أن يسأله أحدهم عمَّا يعنيه ، استطرد فى رُعب هائل :

ـــ البارون (ملفن) .. المرسوم فى اللوحة .. لقد لوَّح لى بسيفه مهدِّدًا ، ثم عاد يغمده فى رأس (نادر) .. لقد تحرَّك .. أقسم لكم ..

(*) حقيقة علمية ..



ورأوه يشير إلى اللوحة بأصابع مرتجفة ، وهو يقول :

ـ لقد تحرَّك .. لقد تحرَّك ..

٦ ـ الظلّ الدمويّ ..

تحسَّس (نور) سطح لوحة (السَّحاب الأحمر) فى حذَر ودقَّة ، وفحص إطارها فى اهتمام بالغ ، ثم لم يلبث أن هزَّ كتفيه ، وهو يقول فى حَيْرة :

ـ إنها مجرَّد لوحة عادية ، مرسومة بالألوان الزيتية ، والتشقُّقات على سطحها تؤكد أنها مرسومة منذ زمن طويل ، ولها إطار عادىّ من الخشب .

غمغم الدكتور (صبرى) فى غضب :

ـ لوحة عادية بعد كل هذا أيها الرائد .

عاد (نور) يهزّ كتفيه ، ويقول :

ـ هذا ما يبدو لى من فحصها يا دكتور (صبرى) .

هتف الدكتور (صبرى) فى حَنَق :

ـ ولكننى رأيته يتحرَّك .

تبادل (نور) نظرة حائرة مع (رمزى) ، الذى قال :

ـ أأنت واثق من أنها لم تكن التماعة برق ، أو خيال أو ...

قاطعه الدكتور (صبرى) فى غضب :

ــ أنا واثق مما رأيت أيها الطبيب النفسى ، وتذكَّر أننى أفُوقك خبرة بما يزيد على عمرك .

عقد (رمزى) حاجبيه فى ضيق ، فى حين قال (نور) بأقصى ما يمكنه من الهدوء :

ــ حسنًا أيها السادة .. سنترك (السَّحاب الأحمر) فى مكانها على الحائط ، وستجلسون فى رَدهة القصر معًا .. فأنا وفريقى نحتاج إلى الانفراد بعض الوقت ، حتى يمكننا حل لُغز هذا الشَّبح القاتل ..

* * *

تنهَّد (رمزى) ، وهو يلوِّح بكفِّه ، قائلًا :

ــ لِمَ لا نفترض أن البارون (ملقْن) قد نجح بوسيلة ما فى نقل جسده إلى عالم ثنائى الأبعاد ، وهو لوحة (السَّحاب الأحمر) نفسها ، وأنه ينطلق منها لإشباع رغبته السَّادية فى سفك الدماء .

هزَّ (نور) رأسه نفيًا ، وقال :

ــ فى هذه الحالة سيبلغ عمره ما يزيد على ثلاثة قرون يا (رمزى) .

هتف (محمود) :

ــ إننا لا ندرى شيئًا عن طبيعة مرور الزمن ، فى العوالم ثنائية الأبعاد يا (نور) .

لوَّح (نور) بكفِّه ، وهو يقول :

ــ ما زلت أصرّ على أن الأمر كله لا يعدُو كونه خِدعة يا رفاق .

سألته (سلوى) فى حَيْرة :

ــ كيف يا (نور) ؟

لوَّح بذراعه كلها ، وهو يقول :

ــ هل لا حظتم مثلى ، أن الدكتور (صبرى) بالذات ، هو أكثر من يمتلك من معلومات حول أسطورة (السَّحاب الأحمر) ؟ وأنه الدليل الوحيد على تحرُّك الصورة ؟

عقد (رمزى) حاجبيه ، وهو يسأله :

ــ هل تعتقد أنه وراء كل ذلك ؟

مطَّ (نور) شفتيه ، وهو يقول :

ــ إننى أميل إلى ذلك يا (رمزى) .

ثم التفت إليه يسأله فى اهتمام :

ــ هل حصلت على عينة من الدم ، الذى كان يلوِّث اللوحة ؟

أومأ (رمزى) برأسه إيجابًا ، فعاد (نور) يقول :

ـــ أريد منك أن تقارنها بفصيلة وعوامل الدم ، الموجودة فى سجل (نادر) بـ(الفيوم) يا (رمزى)، فسيتوقَّف الكثير على هذا .

اتسعت عينا (رمزى) ، وهو يقول فى استنكار :

ـــ هل تريد منِّى أن أذهب الآن ، وسط المطر والعواصف ؟

أجابه (نور) فى صرامة :

ـــ نعم يا (رمزى) .. الآن .. فربما تحدَّدت مصائرنا جميعًا بنتيجة هذا الفحص ..

* * *

ارتجف جسد (درويش) على نحو ملحوظ ، وهو يتلفَّت حوله فى خوف ، وغمغم فى توتُّر :

ـــ لقد تأخَّروا .. إننى أرتجف رعبًا .

مطَّ (فكرى) شفتيه ، وعقد حاجبيه ، وهو يقول :

ـــ لا تقلق هكذا يا (درويش) .. لن يستمرَّ هذا الوضع طويلًا .

ثم التفت إلى الدكتور (صبرى) ، وقال فى لهجة أقرب إلى السخرية :

ـــ أليس كذلك يا دكتور (صبرى) ؟

بادله الدكتور (صبرى) نظرة حَذِرة ، ثم غمغم :

ـــ أعتقد أنه من الأفضل أن ينتهى كل شىء يا (فكرى) .

ونهض فى هدوء ، متجهًا إلى حجرة المكتب ، فهتف به (درويش) فى ذُعر :

ـــ هل ستدخل بقدميك إلى هناك ؟

أومأ الدكتور (صبرى) برأسه إيجابًا ، ونظر إلى (فكرى) لحظة ، ثم قال :

ـــ اطمئن يا عزيزى (درويش) .. لن يستمر ذُعركم طويلًا .

ولم يكد يغلق الباب خلفه ، حتى هبط (نور) ورفاقه ، وعقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول :

ـــ أين الدكتور (صبرى) ؟..

أشاح (فكرى) بوجهه فى ضجر ، فى حين أشار (درويش) إلى حجرة المكتب ، مغمغمًا :

ـــ لقد دخل هناك وحْدَه .

هتف (نور) فى غضب :

ـــ فى حجرة المكتب ؟!.. ومن سمح له بذلك ؟

لم يكد (نور) يتم عبارته ، حتى ارتفعت صرخة مدوية من حجرة المكتب ، ميَّز فيها الجميع صوت الدكتور (صبرى) ، وهو يقول فى رُعب :


كانت اللوحة خالية من صورة البارون (ملفن) .. وسحابها الأحمر يقطر بالدم مرة أخرى .. وأسفلها تكوم جسد الدكتور (صبرى) ..

ــ كلَّا .. كلَّا .. ليس أنا .. ليس أنا .

* * *

اندفع (نور) و (رمزى) و (محمود) إلى حجرة المكتب ، وأخذوا يدفعونه فى قوة ، حتى هتف (رمزى) :

ــ إنه مغلق من الداخل .

وانكمش (درويش) فى مقعده ، وهو يقول :

ــ لقد قتله الشَّبح ... لقد قتله الشَّبح ..

تراجع (نور) إلى الخلف ، وانتزع مسدَّسه اللِّيزرى ، وهو يقول فى لهجة آمرة :

ــ ابتعدا يا (رمزى) ويا (محمود) .. سأحطِّم رتاج هذا الباب ..

وانطلق خيط اللِّيزر يذيب الرتاج المعدنى ، وفُتِحَ الباب فى قوة ، عندما دفعه (نور) بقدمه ، واندفع إلى الداخل ، ثم تسمَّر فى مكانه ، وهتف (محمود) فى ذعر :

ــ اللوحة !! الدكتور (صبرى) !!

فقد كانت اللوحة خالية من صورة البارون (ملفن) .. وسحابها الأحمر يقطر بالدم مرة أخرى .. وأسفلها تكوَّم جسد الدكتور (صبرى) جثة هامدة ..

* * *

٧ ـ نهر الدم ..

اعتدل (رمزى) ، بعد أن فحص جثة الدكتور (صبرى) ، وقال فى أسف :

ـ لقد مات .. قضى نحبه بنفس الوسيلة التى قُتِل بها (نادر) .. طعنة سيف رفيع فى القلب مباشرةً .

تراخت ساقا (درويش) ، وكاد يسقط فاقد الوعى ، فى حين أعلن (فكرى) عن ذُعْره لأول مرة ، وهو يتمتم :

ـ رحماك يا إلهى !!.. رحماك !!

أما (نور) فقد سأل (رمزى) فى اهتمام :

ـ هل طُعِنَ فى نفس الموضع تمامًا ؟

هزَّ (رمزى) كتفيه ، وأجاب فى خفوت :

ـ لقد طُعِنَ فى القلب مباشرةً ، ولكننى لا أستطيع أن أجزم بأنه نفس الموضع .. فأنا لم أفحص جثة (نادر) ، وإنما فحصها الدكتور (صبرى) المسكين .

وتراجع (فكرى) فى رُعب ، وهو يقول :

ـ أريد أن أخرج من هنا .. أريد أن أعود إلى منزلى .. سنلقى حتفنا جميعًا فى هذا القصر اللَّعين .

هتف (نور) فى صرامة :

ـ بل ستبقى يا سيِّد (فكرى) .. ستبقى لأن هناك عشرات الأسئلة ، التى لم أطرحها عليك بعد .

ازداد شحوب وجه (فكرى) ، فى حين التفت (نور) إلى (رمزى) ، وقال فى حزم :

ـ خُذْ عيِّنة من ذلك الدم الموجود على اللوحة الآن يا (رمزى) ، واستخدم سيارتى الصاروخية للذهاب إلى (الفيوم) .. وحاول أن تعود بأقصى قدر من السرعة ، ومعك نتائج الفحص والمقارنة بالملفات ، حتى ولو اضطررت لإيقاظ أطباء معامل السجلات المدنية ، وانتزاعهم من أسِرَّتهم .. لابُدَّ من حسم هذا الأمر قبل مطلع الفجر ..

* * *

مطَّ (رمزى) شفتيه فى ضيق ، وهو يندفع بسيارة (نور) الصاروخية وسط المطر المنهمر ، وغمغم فى حنق :

ـ يا إلهى !!.. هذه واحدة من المرَّات النادرة ، التى كرهت فيها كونى طبيبًا .

كان يشعر بالحنق لاضطراره قطع هذه الكيلومترات العشرة ، التى تفصل القصر عن مدينة (الفيوم) ، وسط هذا الجو العاصف الردىء .. ولكنه لم يلبث أن تذكَّر ذلك الموقف المخيف ، الذى يعيشه (نور) والآخرون ، فتضرَّج وجهه بحُمرة الخجل ، وغمغم :

ــ يبدو أننى مخطئ .. فكل ما أفعله هو أن أواجه المطر والرياح ، فى حين يبقى (نور) و (سلوى) و (محمود) فى مواجهة شبح قاتل .

وانتابه حماس مفاجئ فهتف :

ــ سنحل لُغز لوحة (السَّحاب الأحمر) قبل مطلع الفجر يا (نور) .. أعِدك بذلك .

وزاد من سرعة سيارته ، ليقطع الكيلومترات الباقية فى لحظات ..

* * *

احتقن وجه (فكرى) ، وصاح فى وجه (نور) غاضبًا :

ــ هل تتهمنى بقتل (نادر) و (صبرى) أيها الرائد ؟

هزَّ (نور) كتفيه فى هدوء ، وقال :

ــ إننى لم أتهمك بعد يا سيِّد (فكرى) ، ولكننى أسألك فقط عما فعلته منذ صعودنا للتشاور فى الأمر ، وحتى عودتنا .

لوَّح (فكرى) بذراعه فى غضب ، وصاح :

ــ إننى لم أغادر هذا البهو لحظة أيها الرائد .. وسيشهد (درويش) بذلك .

صاح (نور) فى حِدَّة :

ــ الوسائل العلمية الحديثة لا تجعلك مضطرًا لمغادرة البهو ، حتى يمكنك ارتكاب جريمة فى حجرة المكتب .

هتف (فكرى) فى غضب :

ــ إننى من الجيل القديم أيها الرائد .. الذى لا يميل لاستخدام الوسائل العلمية الحديثة ، وأنا ...

بتر (فكرى) عبارته فجأة ، واحتقن وجهه فى شدة ، وجحظت عيناه على نحو مخيف ، فأسرع إليه (نور) ، يسأله فى قلق :

ــ ماذا بك يا سيِّد (فكرى) ؟

مضت لحظة ، عجز فيها (فكرى) عن النطق ، ثم لوَّح بكفِّه فى ضعف ، وهو يقول :

ــ إنه قلبى .. لم يعد يحتمل .

أسرع (نور) يُرقده فوق الأريكة ، وهو يقول فى إشفاق :

ــ استرح يا سيِّد (فكرى) .. استرح قليلًا ، قبل أن تتحدث ..

أخذ (فكرى) يلهث ، وهو يقول :

ـــ اللوحة .. إنها ليست نفس اللوحة ..

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول :

ـــ ماذا تعنى يا سيِّد (فكرى) ؟

خُيِّل لـ (نور) أن الرجل يبذل جهدًا خرافيًّا ، ليغمغم :

ـــ تلك اللوحة اللعينة .. إنها ليست ....

وفجأة .. أُطفئت الأنوار مرَّة ثانية ، وساد الظلام التام ، وتعلَّقت (سلوى) بذراع (نور) ، وهى تهتف فى ذُعر :

ـــ سيعاود الكَرَّة يا (نور) .. سيقتل أحدنا .

شهق (فكرى) ، وأخذ يلهث فى قوة ، وهو يقول فى رعب :

ـــ إنه دورى هذه المرَّة .. إنه يعلم أننى أعرف ....

هتف به (نور) فى توتر بالغ .

ـــ تعرف ماذا يا سيِّد (فكرى) ؟

وفجأة .. تحرَّكت نفس الأقدام البطيئة الثقيلة فى البهو ، وصرخ (فكرى) فى رُعب هائل :

ـــ لا ليس أنا .. ليس أنا .. لن أخبر أحدًا .. لن ....

وبتر عبارته ليردفها بشهقة قوية ، وتشبَّث بذراع (نور) فى قوة ، ثم تراخت قبضته ، وتراخى جسده تمامًا ..

* * *

تثاءب طبيب معامل السجل المدنى فى إرهاق ، وألقى نظرة متراخية على (رمزى) ، الذى انهمك فى فحص عينات الدم ومقارنتها بالسجلات ، وغمغم فى إرهاق :

ـــ هل انتهيت ؟

أجابه (رمزى) فى حماس :

ـــ نعم .. ولقد حصلت على نتيجة مدهشة يا صديقى .

حاول طبيب المعامل أن يبتسم ، إلَّا أن الإرهاق الذى يشعر به منع ابتسامته من الوصول إلى شفتيه ، وهو يغمغم فى ضجر :

ـــ هذا عظيم .

قفز (رمزى) من مقعده ، وهو يقول فى حماس :

ـــ بل أكثر من عظيم يا صديقى .. إنه سيحسم الأمر تمامًا .

ثم أسرع إلى حيث تقف سيارة (نور) ، أمام المعامل ، وانطلق بها فى سرعة جعلت طبيب المعامل يبتسم فى شحوب ، وهو يقول :

ـــ فى المرَّة القادمة ، حاول أن تبدأ تحرِّياتك مبكِّرًا يا زميلى .

لم يسمع (رمزى) هذه العبارة بالطبع ، وهو يشق المطر الغزير ، والرياح بسيارة (نور) ، ويغمغم فى حماس :



وقبل أن يضغط (رمزى) كابح السيارة (الإيروماتيك) ، ارتطمت مقدِّمتها بشجرة ضخمة على جانب الطريق ..

ــ لأول مرَّة ستعترف بصحة نظريات فريقك يا (نور) .. لأول مرة لن تحقِّق أنت النصر .

لم ينتبه فى غمرة حماسه إلى أنه يقود السيارة بسرعة تزيد على السرعة الآمنة ، فى مثل هذا الطريق الفرعى الزَّلِج ..

لم ينتبه إلى ذلك إلَّا حينما انزلقت عجلات السيارة فجأة ، واندفعت إلى جانب الطريق ، وعلى الرغم من سرعة رد الفعل عنده ، إلَّا أن الطريق كان أضيق من أن يحتمل ذلك الانحراف المفاجئ .. وقبل أن يضغط (رمزى) كابح السيارة (الإيروماتيك) ، ارتطمت مقدِّمتها بشجرة ضخمة على جانب الطريق ، ومالت على جانبها ، ثم انقلبت وتدحرجت فى قوة ، قبل أن تستقر فى وضع مقلوب ، وبداخلها (رمزى) ، الذى أخذ يقاوم تلك الغيبوبة التى أحاطت بعقله فى قوة ، وهو يحاول جاهدًا نزع حزام الأمان ، الذى يحيط بوسطه ، إلَّا أن أصابعه تراخت ، وسقطت مستسلمة ، حينما فقد وعيه ، وسط الأمطار والرياح والظلام ..

باسل
Www.dvd4arab.com

٨ ـ اللَّوحة الملعونة ..

سطع الضوء فجأة فى القصر ، كما انقطع فجأة ، و (نور) يحاول جاهدًا إسعاف (فكرى) ، الذى جحظت عيناه ، واسترخت عضلاته ، ثم لم يلبث اليأس أن ارتسم على وجه (نور) ، وهو يغمغم فى ألم :

ـ لقد مات .. توقَّف قلبه الضعيف من شدة ذُعره .

خفضت (سلوى) رأسها فى أسف ، وزفر (محمود) فى قوة ، فى حين انكمش (درويش) فى مقعده ، وهو يغمغم فى رعب :

ـ لقد حان دورى .. أنا التالى .. أنا التالى .

عقد (نور) حاجبيه فى غضب ، وهو يقول :

ـ لن يكون هناك تالٍ ـ بإذن الله ـ يا سيِّد (درويش) .

تشبَّث (درويش) بذراع (نور) ، وهو يهتف فى ضراعة :

ـ دعْنا نغادر هذا المكان أيها الرائد .. أرجوك .

مطَّ (نور) شفتيه فى أسف ، وهو يقول :

ـ لك الحق فى هذا يا سيِّد (درويش) .. ولكننا سنضطر لانتظار عودة (رمزى) ، فهو يستقلُّ سيارتى و ....

قاطعه (درويش) فى ضراعة :

ـ سيارة الدكتور (صبرى) تنتظر فى الخارج ، ويمكننا أن نستقلها .

تردَّد (نور) لحظة ، فعاد (درويش) يتشبَّث بذراعه ، ويهتف فى توسُّل :

ـ ستجد مفاتيحها فى جيب سترته ولا شك .. أرجوك .

تنهَّد (نور) ، وقال :

ـ حسنًا يا سيِّد (درويش) .. سنغادر المكان .

ثم أزاح يده فى هدوء ، واتجه فى خطوات ثابتة إلى حجرة المكتب ، ودخلها فى بساطة ، فغمغمت (سلوى) فى توتُّر :

ـ لست أدرى كيف جَرُؤ (نور) على ولُوج هذه الحجرة ثانيةً ؟

غمغم (محمود) :

ـ يلُوح لى أحيانًا أن زوجك يمتلك قلبًا فولاذيًّا يا (سلوى) .

لم تعقّب (سلوى) على عبارته ، وتعلّقت عيون ثلاثتهم بباب حجرة المكتب فى قلق ، حتى عاد (نور) ، وهو يعقد حاجبيه فى ضيق ، فسأله (درويش) فى تردُّد :

ــ هل أحضرتِ المفاتيح ؟

أجابه (نور) فى حَنَق :

ــ لا .

ارتجف صوت (سلوى) ، وهى تسأله :

ــ لماذا ؟

أجابها فى غضب واضح :

ــ لأننى ببساطة لم أعثر على جثة الدكتور (صبرى) .. لقد اختفت بدورها ، كما اختفت جثة (نادر) ، واحتلت رأسه مكانها وسط لوحة (السّحاب الأحمر) الملعونة .

* * *

كانت عبارة (نور) تكفى لأن يرتجف (درويش) ، من قمة رأسه وحتى أخمص قدميه ، ثم يصرخ فى رُعب :

ــ لابدّ أن أذهب .. أريد أن أغادر هذا المكان الملعون .

ثم اندفع فجأة يتعلّق بعنق (نور) ، وهو يصرخ :

ــ أخرجنى من هنا أيها الرائد .. أخرجنى قبل أن أقتلك .

أزاح (نور) قبضته عن عنقه فى صرامة ، وهو يقول فى حِدَّة :

ــ فلتنصرف وحدك إذا أردت يا سيِّد (درويش) ، ولكننى لن أغادر هذا القصر الملعون ، قبل أن أتوصَّل لحل هذا اللُّغز .

انهار (درويش) على مقعد جانبى ، وانخرط فى البكاء ، وهو يقول :

ــ إننى لا أجيد القيادة .. لن يمكننى الانصراف وحدى .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول فى حِدَّة :

ــ سيكون عليك إذن أن تنتظر عودة (رمزى) و ....

بتر (نور) عبارته فجأة ، واتسعت عيناه ، وهو يهتف فى توتُّر :

ــ يا إلٰهى !!.. (رمزى) !!.. لقد انصرف منذ فترة طويلة ، و ....

ثم استدار إلى رفيقيه ، وقال فى لهجة آمرة ، واضحة القلق :

ــ سأذهب بحثًا عن (رمزى) ، فأنا أشعر أنه قد تعرَّض لمكروه ما .. وأريد منكما ألا تغادرا هذا القصر ، وأن يظلّ كلاكما مع السيِّد (درويشل) ، وألّا يفترق ثلاثتكم أبدًا ، حتى أعود ..

وقبل أن ينطق أحدهم بكلمة واحدة ، كان قد اندفع خارج القصر ، وقفز داخل سيارة الدكتور (صبرى) ، وهو يغمغم فى توتُّر :

ــ هيَّا يا (نور) .. استرجع ما درسته وتعلمته عن هذه السيارات البدائية ، ذات المحرِّك الذى يعتمد على الاحتراق الداخلى بالوقود السائل .. هيَّا .. إن كتب التاريخ العلمى تقول إنها تدار بواسطة شرارة كهربية ، يمكن استحداثها بتوصيل الأسلاك .

وأخذ يبحث فى توتُّر عن سلكىْ الإدارة ، حتى عثر عليهما ، فقطعهما نصفين ، وأوصلهما ، فدار محرِّك السيارة البدائية فى ضجيج لم يعُد مألوفًا فى ذلك العصر .. وتردَّد (نور) لحظة ، ثم ضغط دوَّاسة الوقود ، وانطلق بالسيارة ، فى طريق (الفيوم) ..

* * *

ساد الصمت التام فى بهو القصر ، بعد انصراف (نور) المفاجئ ، حتى غمغمت (سلوى) فى توتُّر :

ــ فلندْعُ الله (سبحانه وتعالى) أن تستقر الأمور حتى يعود (نور) .

تنهَّد (محمود) ، وقال :

ــ أنا واثق من أن (نور) ما زال يصر على أن الأمر مجرَّد خدعة .

قلَّبت (سلوى) كفَّيها ، وقالت فى حَيْرة ، وهى تتلفَّت حولها فى خوف :

ــ لو أنها خدعة ، فكيف تبدَّلت اللوحة ونحن لم نفارق المدخل الوحيد لحجرة المكتب ؟

فوجئ (محمود) و (سلوى) بـ (درويش) يقول فى خوف :

ــ ربَّما عَبَر أحد الممرَّات السرِّيَّة .

حدَّقا فى وجهه بدهشة ، وهتفت (سلوى) :

ــ وهل توجد فى القصر ممَّرات سرِيَّة ؟

أومأ (درويش) برأسه إيجابًا فى توتُّر ، وغمغم فى خفوت مضطرب :

ــ نعم .. لقد كان جَدّ (نادر) (رحمهما الله) يهوَى هذه التعقيدات .. ولقد أوصل القصر بعدد من المداخل والممرَّات السرِّيَّة ، المنتشرة هنا .

هتف (محمود) فى دهشة :

ـ وهل هناك مدخل سرّىّ فى المكتبة ؟

ارتبك (درويش) ، وهو يقول :

ـ نعم .. هناك واحد حسبما أذكر .

تبادل (محمود) و (سلوى) نظرة دهشة بالغة ، وهتفت (سلوى) :

ـ لِمَ لم تقل ذلك منذ البداية ؟

ثم أمسكت معصم (محمود) فى قوة ، وهى تهتف فى انفعال :

ـ لو أنه يوجد حقًّا ممرّ سرّىّ فى حجرة المكتب ، فسيعنى هذا أن الأمر كله مجرَّد خدعة يا (محمود) .. دَعْنا نبحث عن ذلك الممرّ السرّى .

تردَّد (محمود) ، وهو يقول :

ـ هل سندخل إلى حجرة المكتب ؟

هتفت (سلوى) فى حماس وانفعال :

ـ سندخلها معًا ، وسنعثر على هذا الممر السرّى ، قبل أن يصل (نور) .

صاح (درويش) فى رعب :

ـ مستحيل !! إننى لن أطأ هذه الحجرة الملعونة بقدمىّ أبدًا .

حَدَجَتْه (سلوى) بنظرة قاسية ، وهى تقول :

ـ سيكون عليك أن تنتظر وحدك إذن .

ثم أسرعت إلى حجرة المكتب ، وتبعها (محمود) فى ضيق ، فى حين لحق بهما (درويش) فى ذُعر ، ولم يستطع ثلاثتهم منع تلك القشعريرة التى سرَت فى أجسادهم ، حينما وقعْ بصرهم على اللوحة ، التى بدت فيها صورة البارون (ملقن) ، وهو يغمد سيفه فى رأس الدكتور (صبرى) ، ويخترقه إلى رأس (نادر) .. ودون اتفاق سابق ، أشاح ثلاثتهم برءُوسهم فى آن واحد ، وغمغمت (سلوى) فى توتُّر :

ـ أين يقع مدخل الممرّ السرّىّ يا سيِّد (درويش) ؟

أشار (درويش) إلى مكتبة صغيرة تلتصق بالحائط ، وقال :

ـ أعتقد أنه هناك ، خلف تلك المكتبة ، وأنه ....

وتحوَّلت عبارته إلى شهقة رعب ، حينما انطفأت أضواء القصر كلها فجأة ، وارتجفت (سلوى) ، وهى تقول :

ـ يالى من حمقاء !! كيف خطرت هذه الفكرة الجنونية برأسى ؟

لم تكد تتم عبارتها ، حتى التمع البرق فجأة ، وأضاء حجرة

المكتب عَبْر نافذتها الزجاجية ، وفى تلك اللمحة الخاطفة من البرق ، تهاوَت قلوب الثلاثة بين أقدامهم .. فقد كانت لوحة البارون (ملڤن) خالية من صورته ، وإن لم تختف تلك النظرة البغيضة ، التى تجمع بين الوحشية والشراسة والبُغض ، فقد كان البارون (ملڤن) نفسه ، أو شبحه بمَعْنَى أدقّ ، يقف أمام لوحته ، ويحدِّق فى وجوههم بغضب ..

* * *



فقد كان البارون (ملڤن) نفسه ، أو شبحه بمعنى أدقّ ، يقف أمام لوحته ، ويحدِّق فى وجوههم بغضب ..

٩ ــ وومض العقل ..

شعر (نور) بحنق شديد ، بسبب تلك السرعة البطيئة ، التى تنطلق بها سيارة الدكتور (صبرى) ، بالمقارنة بالسرعات المرتفعة ، التى اعتادها فى سيارته الصاروخية الحديثة ، وبدت له الكيلومترات التى يقطعها وكأنها أميال ممتدة إلى مدَى البصر ، حتى سقطت أضواء السيارة على سيارته المقلوبة ، فتوقَّف ، وقفز من السيارة فى قلق ، واندفع تحت المطر الغزير إلى سيارته ، وأسرع ينزع حزام الأمان الملتف حول وسط (رمزى) فى لهفة ، ثم حمله إلى السيارة الأخرى ، وهو يغمغم فى خوف :

ــ أرجو ألَّا يكون قد أصابه مكروه .

وفحص جسد (رمزى) فى سرعة ومهارة ، ثم لم يلبث أن تنهَّد فى ارتياح ، حينما تبيَّن أنه لم يصب إلَّا بغيبوبة فحسب ، وأخذ يحاول إنعاشه فى لهفة ، حتى فتح (رمزى) عينيه ، وتأوَّه قبل أن يغمغم فى ألم :

ــ ماذا حدث ؟.. أين أنا ؟

واستيقظ عقله فجأة ، وعاد إليه صفاؤه ، فهتف :

ــ يا إلٰهى !!.. (نور) ؟.. كيف جئت إلى هنا ؟

أجابه (نور) فى ارتياح :

ــ حمدًا لله على سلامتك يا (رمزى) .. لقد تأخَّرت كثيرًا فى العودة ، مما أقلقنى و ....

قاطعه (رمزى) فى انفعال :

ــ لقد حصلت على نتائج عيِّنات الدم يا (نور) .

عقد (نور) حاجبيه ، واتسعت عيناه فى اهتمام ، فى حين استطرد (رمزى) :

ــ العيِّنات المأخوذة من نفس دماء (نادر) و (صبرى) يا (نور) .. لم يعُد هناك شك فى نظرية العالم الثانى الأبعاد .. هذه اللوحة هى المدخل إلى ذلك العالم يا (نور) .

ازداد انعقاد حاجبى (نور) ، وهو يدير محرِّك السيارة القديمة ، قائلا :

ــ هذا يعنى ضرورة عودتنا بسرعة يا (رمزى) .

وانطلق بالسيارة عائدًا إلى القصر ، وهو يدير الأمر فى رأسه على كل جوانبه ، أما (رمزى) فقد تحسَّس رأسه فى ألم ، وهو يغمغم :

ـــ يا له من صراع رهيب !! وأنا الذى تصوَّرت فى البداية أن الأمر كله مجرَّد مزحة و ....

أوقف (نور) السيارة بغتة ، حتى كادت تنزلق فوق الطريق الزَّلِج ، وهتف وهو يستدير إلى (رمزى) :

ـــ ماذا قلت يا (رمزى) ؟

حدَّق (رمزى) فى وجهه بدهشة ، وغمغم فى حَيْرة :

ـــ إنها مجرَّد عبارة عادية يا (نور) .

ومض البرق وغمرهما بضوئه فى تلك اللحظة ، إلَّا أن عينى (نور) بدتا أشدّ التماعًا منه ، وهو يهتف فى حماس :

ـــ كلَّا يا (رمزى) .. إنها ليست مجرَّد عبارة عاديَّة .. إنها مفتاح حلّ اللُّغز كله يا صديقى ..

اتسعت عينا (رمزى) ، وهو يهتف فى صوت أجش ، من فرط الانفعال :

ـــ (نور) .. هل ؟!

صاح (نور) فى سعادة :

ـــ نعم يا صديقى .. لقد توصَّلت إلى حل لُغز الشَّبح القاتل .

ثم عاد ينطلق بالسيارة ، وهو يستطرد فى انفعال :

ـــ المهم الآن أن نسرع بالوصول إلى ذلك القصر الملعون ، قبل أن يحقِّق الشَّبح انتصارًا جديدًا ، ويغمر اللوحة كلها بالسحاب الأحمر الدامى ..

* * *

تراجع (محمود) و (درويش) و (سلوى) فى رعب ، أمام البارون (ملقن) ، الذى أخذ يتقدَّم منهم فى بطء ، وسط الضوء الخافت ، المتسلِّل عبْر نافذة الحجرة ، مع التماعات البرق ، الذى تزايدت حِدَّته ، وكأنما يصرّ على إضفاء مزيد من الرُّعب على ذلك المشهد ، ورفع (درويش) ذراعيه أمامه ، وهو يصرخ فى رُعب :

ـــ الرَّحمة !! أرجوك !! الرحمة !!

وفجأة .. ومع التماعة برق قوية ، قفز الشبح إلى الأمام ، وغرز سيفه فى قلب (درويش) ، الذى شهق فى مزيج من الألم والرُّعب ، وامتزجت شهقته بصرخة (سلوى) ، حينما جذب الشَّبح سيفه من قلب (درويش) ، وتركه يسقط جثة هامدة ، ثم استدار يواجه (محمود) و (سلوى) ..

واستجمع (محمود) شجاعته كلها ، وقفز نحو الشَّبح ، الذى استقبله بطعنة نافذة ، عَبرت ذراع (محمود) اليسرى ،

ثم لكمه لكمة قوية ، أطاحت به بعيدًا ، وهو ينتزع سيفه من ذراعه ..

واستدار يواجه (سلوى) ، التى أصبحت وحيدة ، بعد أن لقى (درويش) مصرعه ، وفقد (محمود) وعيه ..

وتراجعت (سلوى) فى رُعب هائل ، وهى تهتف :

ـ إلىَّ يا (نور) .. النَّجدة يا (نور) .

وفجأة .. ارتطمت (سلوى) بالمكتبة الصغيرة ، التى دارت حول نفسها فى حركة سريعة ، احتوت خلالها جسد (سلوى) ، وألقت به فى الجانب الآخر من الحائط ، داخل ممرّ مظلم ..

وقفزت (سلوى) واقفة على قدميها ، وانطلقت تعدُو فى رُعب ، وهى لا تتبيَّن حتى موضع قدميها ..

أما شبح البارون (ملقن) ، فقد توقَّف لحظة ، وأدار بصره إلى لوحة (السَّحاب الأحمر) .. وابتسم فى وحشية .. فقد تحقَّق له النصر الكامل .

* * *

هتف (نور) فى توتُّر بالغ ، وهو يندفع بسيارته نحو القصر ، الذى غرق وسط الظلام الدامس :

ـ يا إلٰهى !!.. إنه الظلام مرَّة أخرى يا (رمزى) .

أخرج (رمزى) من جيب معطفه مصباحًا يدويًّا ، وهو يقول فى حزم :

ـ لقد احتطت لذلك يا (نور) ، وأحضرت هذا المصباح .

هتف (نور) :

ـ المهم أن ننجح فى استخدامه فى الوقت الصحيح يا (رمزى) .

وأوقف سيارة الدكتور (صبرى) القديمة أمام القصر ، واختطف المصباح من يد (رمزى) وأضاءه وهو يقفز خارج السيارة ، ويندفع إلى القصر هاتفًا فى عصبيَّة :

ـ أسرع يا (رمزى) .. أسرع .. فهذا الشَّبح لا يرتوى من الدماء أبدًا .

لحق به (رمزى) فى توتُّر مماثل ، وسمعه يهتف فى قلق :

ـ الرَّدهة خالية .. حتى من جثةَ (فكرى) .. تُرَى أين ذهب (محمود) و (سلوى) و (درويش) ؟

هتف (رمزى) فى دهشة :

ـ هل لقى (فكرى) مصرعه ؟

أسرع (نور) إلى حجرة المكتب ، وهو يقول :

ـ نعم .. لقد نجح الشَّبح فى اقتناصه بضربة ذكية .

ودفع (نور) باب المكتب بقدمه ، وأدار مصباحه فيه فى لهفة ، وتوقَّف ضوء المصباح فوق جسد (محمود) ، فصاح (رمزى) فى ذُعر :

ـ يا إلهى !!.. إنه (محمود) .

وأسرع يفحصه فى جزَع ، ثم لم يلبث أن هتف :

ـ حمدًا لله .. إن جرح ذراعه غائر ، ولكنه سيشفى ـ بإذن الله ـ فهو فاقد الوعى فقط ، ولكنه حىّ ، ولم يفقد الكثير من الدماء .

غمغم (نور) فى خوف :

ـ ولكن أين (سلوى) ؟

وعاد يدير مصباحه فى أرجاء المكتب .. ولم يكد ضوء المصباح يسقط على اللوحة ، حتى اتسعت عينا (نور) ، وهتف فى دهشة :

ـ يا إلهى !!

التفت (رمزى) إلى البقعة التى يسقط عليها ضوء المصباح ، فاتسعت عيناه بدوره ، وهو يغمغم :

ـ يا للبشاعة !!

فقد كانت اللوحة تحمل هذه المرَّة صورة البارون (ملفن) ، ولكن سيفه كان يحمل أربعة رءُوس ، لـ(نادر) ، و(صبرى) ، و(فكرى) ، و(درويش) ، وصاح (نور) فى سخط وتوتُّر :

ـ هذا الوغد يؤكد انتصاره .. ولكن أين (سلوى) ؟

وفجأة .. ووسط هزيم الرعد ، وصوت المطر المنهمر ، تسلَّل إلى مسامع (نور) صوت صرخة مكتومة ، وهتف هو بكل جزعه وذُعره ولوعته :

ـ يا إلهى !!.. (سلوى) !!

ولم يكن يدرى أن زوجته فى هذه اللحظة تستند إلى الباب الخشبىّ العتيق ، وتواجه الشبح القاتل ، الذى بدأ يسحب سيفه الرفيع من غمده فى بطء وهدوء ، ليغمده فى قلب ضحيته الخامسة ..

* * *



ولم يكن يدرى أن زوجته فى هذه اللحظة تستند إلى الباب الخشبىّ العتيق ، وتواجه الشبح القاتل الذى بدأ يسحب سيفه الرفيع ..

١٠ ــ قاتل عَبْر العصور ..

تلاحق وميض البرق ، وتعاقب فى سرعة ، مختلطًا بهزيم الرعد وانهمار المطر ، الذى ازداد غزارةً فى هذه الليلة الليلاء ، واحتبست صرخة رعب فى حلق (سلوى) ، واتسعت عيناها حتى بدتا أقرب إلى الجحوظ ، وهى تحدِّق فى عينى الشَّبح ، اللتين يومضهما البرق وتخفيهما فى تعاقب مخيف ، وتخاذلت ساقاها واصطكت ركبتاها ، وهو يسحب سيفه الرفيع من غمده ..

ورفع الشَّبح سيفه فى وجهها ، وبدا وكأنه ينتظر التماعة برقٍ تنفذ عَبْر شقوق الباب الخشبىّ ، ليغوص بذبابته فى أعماق قلبها ، الذى كان ينبض فى قوة لم تعهدها من قبل ..

ولم يكن هناك مفرٌّ من الموت ..

وفجأة .. تردَّد فى الممرِّ المظلم صوت المكتبة الصغيرة ، وهى تدور حول نفسها ، وانتقل صدى خطوات (نور) ، وهو يعبُر الممرّ ، هاتفًا فى جزَع :

ــ سلوى .. هل أنت بخير ؟

صوته وحده حطم جدار الخوف السميك ، الذى أحاط بها ، فتجمَّعت كل رغبتها فى الحياة ، وانطلقت من بين شفتيها ، على هيئة صرخة مدوِّية :

ــ نور .

وتردَّد صدى صرختها فى أرجاء الممرّ المظلم ، وتكرَّر ، وتضاعف ، واختلط بصوت أقدام (نور) ، وهو يعدُو بكل ما يملك من قوة ، وشقَّ ضوء مصباحه اليدوى ظلام الممر ، وسقط فوق شبح البارون (ملفن) ..

واستدار الشبح يواجه خصمه ، وتضاعفت فى عينيه نظرات الوحشية والشراسة والبغض ، وارتفع سيفه فى وجه (نور) ، الذى خفَّف من سرعة عدْوَه ، حينما اقترب من الشَّبح ، وتوقَّف على بعد متر واحد منه ، ورفع ضوء المصباح فى وجهه ، وهو يقول :

ــ ها نحن أُولاء نلتقى وجهًا لوجه ، لأول مرَّة أيها الشَّبح .

وفجأة .. وفى حركة سريعة ، ضرب الشَّبح المصباح اليدوى بسيفه ، فألقى به من يد (نور) ، ثم قفز إلى الأمام ، ورفع سيفه نحو قلب بطلنا ..

* * *

انتفض جسد (محمود) فى قوة ، حينما استعاد وَعيه ، ووجد الظلام يحيط به ، وشعر بيد تتحسَّس ذراعه فى اهتمام ، فدفع اليد بعيدًا فى ذُعر ، وهو يهتف :

ــ كلَّا .. إنك لن ....

قاطعه صوت مألوف ، يقول فى إشفاق :

ــ رُوَيْدك يا (محمود) .. إنه أنا .. (رمزى) .

اتسعت عينا (محمود) ، وهو يقول فى اضطراب :

ــ (رمزى) ؟!.. ولكن أين نحن ؟.. أين (نور) و ....؟

عاد (رمزى) يقاطعه فى توتُّر :

ــ اهدأ يا (محمود) ، ودَعْنى أُضمِّد جراحك .

ثم أردف فى اضطراب :

ــ إن (نور) يطارد الشَّبح .

هتف (محمود) :

ــ يطارد الشَّبح ؟!.. إنه شبح قاتل .. إنه ....

وبتر عبارته ليصيح فى خفة :

ــ هناك ممرّ سِرِّى خلف المكتبة الصغيرة هناك يا (رمزى) .. لقد كنا بصدد كشفه أنا و (سلوى) ، حينما هاجمنا الشَّبح و ....

مرّة ثالثة قاطعه (رمزى) ، قائلًا :

ــ لقد عثر (نور) على الممرّ يا (محمود) .

هتف (محمود) فى دهشة :

ــ عثر عليه ؟!

أجابه (رمزى) :

ــ نعم يا (محمود) .. لقد سمعنا صراخ (سلوى) ، وكان الصراخ يأتى من خلف الحائط .. وتحوّل (نور) إلى ليث هائج ، وهو يفحص الحائط ، ويختبره فى سرعة ومهارة وإصرار ، حتى عثر على مدخل الممرّ السرّىّ ، واندفع داخله فى إصرار .

غمغم (محمود) فى جزَع :

ــ هذا يعنى أنه يواجه الآن قاتلًا ، سفك الدماء عَبْر العصور .. يواجه شبَحًا .. ويالها من مواجهة !!

* * *

سقط المصباح اليدوى من يد (نور) ، إثر ضربة سيف الشبَح ، وتصارع ضوءه مَعَ ظُلمة الممرّ لحظة ، قبل أن يستقرّ ساكنًا ، فى نفس الثانية التى قفز فيها (نور) جانبًا ، وغاص إلى أسفل ، متفاديًا نصل السيف ، ثم عاد بجسده خطوة إلى الوراء ، وهو يقول فى لهجة أقرب إلى السخرية :

ــ أهكذا تتصارعون فى عالمك الثنائى الأبعاد أيها الشبَح ؟

كان الظلام سائدًا ، إلّا من بقعة الضوء التى يلقيها المصباح اليدوى ، والتى تجعل كلًّا من الخصمين يتبيّن صاحبه فى صعوبة .. إلّا أن ذلك لم يمنع الشبَح من أن يقفز مرّة أخرى إلى الأمام ، محاولًا طعن (نور) بسيفه ذى الطرف المدبَّب .. ولكن (نور) كان مستعدًّا للمواجهة هذه المرّة ، فمال بجسده كله إلى اليمين ، وترك نصل السيف يمُرق أمامه ، ثم قبض على معصم الشبَح فى قوة ، وأطلق قبضته اليسرى فى فكّه كالقنبلة ، وسمع الشبَح يتأوّه من قوة اللكمة ، فأعقبها بأخرى كالصاعقة ، دون أن يفلت منه معصم الشبَح ، وهو يقول فى سخرية :

ــ عجبًا !! إنها أول مرّة أسمع فيها تأوهات شبح !

تأوّه الشبح مرّة أخرى ، وترنّح ، وتراخت قبضته الممسكة بالسيف ، الذى سقط وارتطم بالأرض ، وتردَّد رنينه عَبْر الممرّ كله ..

وهنا ترك (نور) معصم الشبَح وهوَى على معدته بلكمة من يمناه ، أعقبها بأخرى من يسراه ، وترك الشبَح يهوِى تحت قدميه ..



تأوه الشبح مرة أخرى ، وترنح ، وتراخت قبضته الممسكة بالسيف ، الذى سقط وارتطم بالأرض ..

ورفع (نور) عينيه إلى (سلوى) ، وهو يغمغم محاولًا شقَّ الظُّلمة لرؤيتها :

ــ (سلوى) هل أنت بخير ؟

ألقت (سلوى) جسدها بين ذراعى زوجها ، دون أن تدرى كيف أمكنها ذلك وسط الظلام ، وتفجَّرت بالبكاء ، وهى تتحسَّسه ، غير مصدِّقة بالنجاة ، وأخذت تهتف :

ــ (نور) !!.. لقد وصلت فى اللحظة المناسبة كالعادة .. لقد كاد هذا الشَّبح يضمّ رأسى للوحته اللعينة .

ربَّت (نور) على شعرها فى حنان ، وهو يغمغم :

ــ إنه ليس شبَحًا .. ليس شبَحًا يا (سلوى) .

هتفت فى دهشة :

ــ ليس شبحًا ؟!.. هل تقصد أنه البارون (ملفن) نفسه ، فى عالم ثنائى الأبعاد ؟.. لقد سمعتك تذكر ذلك فى أثناء صراعك معه .

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

ــ لا يا زوجتى الحبيبة .. إن الحقيقة أشدّ تعقيدًا من ذلك .

ثم انحنى فى هدوء ، والتقط مصباحه اليدوى ، وألقى ضوءه على وجه الشَّبح ، ثم انحنى نحوه ، مستطردًا :

— إنه قاتل يا (سلوى) .. قاتل أراد أن يحقِّق حُلم المجرمين عَبْر العصور ، ويفوز بارتكاب الجريمة الكاملة ، دون أن يدرك — على الرغم من عبقريته — أنه ما من جريمة كاملة فى الزمان كله ، وأن المجرم يسقط فى أيدى العدالة دائمًا ، مهما بلغ إحكام خُطَّته ، ومهما بلغ ذكاؤه .

وفى هدوء ، أمسك (نور) وجه الشَّبح ، وانتزعه على نحو أثار رجفة قوية فى جسد (سلوى) ، ثم لم تلبث رجفتها أن تحوَّلت إلى ذهول جارف ، وهى تحدِّق فى الوجه الذى بدا أسفل ذلك القناع المطَّاطى الرقيق ، الذى يحمل وجه البارون (ملفن) ، وتستمع إلى زوجها (نور) ، وهو يقول فى هدوء :

— هذا هو شبحنا القاتل يا عزيزتى .

ولم تكن عبارته مبالغة ، فلقد كانت (سلوى) تحدِّق فى وجه شبح ..

شَبح رجل لقى مصرعه أمامها ..

كانت تحدِّق فى وجه (نادر) !!

* * *

١١ — جريمة العصر ..

عاد الضوء يسطع فى القصر القديم ، وارتفع صوت (محمود) وهو يقول :

— لقد عثرت على جهاز فصل التيَّار الكهربى ، وألغيت عمله .

تنهَّدت (سلوى) فى ارتياح ، وهى تقول :

— يا إلهى !! .. كم أشعر بروعة الضوء ، بعد كل هذا الظلام .

ابتسم (رمزى) لعبارتها ، وألقى نظرة عابرة على (نادر) ، الذى لم يستعد وعيه بعد ، والذى يرقد مكبَّلاً بالأغلال ، مرتديًا ملابس البارون (ملفن) ، فوق الأريكة الكبيرة فى بهو القصر ، ثم التفت إلى (نور) ، وسأله فى انبهار واهتمام :

— ولكن كيف توصَّلت إلى ذلك يا (نور) ؟

استرخى (نور) فى مقعده ، وابتسم فى هدوء ، وهو يقول :

ــ إننى لم أومن منذ البداية بفكرة الأشباح هذه .. فلقد كنت ولا أزال أرفض فكـــرة عودة شخص ما من عالم الموتى بإرادته ، إذ أن هذا يتنافى مع كل ما نؤمن به ، وكل ما جاء فى الكتب المقدَّسة ، ونظرية العالم الثنائى الأبعاد أيضًا لم تقنعنى ؛ لأن هذا العالم لن يبدو أبدًا متشقِّقًا كسطح لوحة قديمة .. ثم إنه ليس من السهل أو الهيِّن أن يفقد أحد مخلوقات عالمنا الثلاثى الأبعاد واحدًا من أبعاده ، لينتقل إلى عالم وهمى ثنائى الأبعاد ، ولم يعُد أمامى نظرًا لرفض الفكرتين إلَّا تبنِّى فكرة القاتل البشرى ، الذى يحاول إيهامنا بكل ما يحدث من غموض .

صمت (نور) لحظة ، ثم عاد يستطرد فى هدوء :

ــ ولم يكد رأيى يستقرّ على هذه النظرية البشرية ، حتى كان علىَّ أن أواجه الأسئلة التقليديـة الثلاثـــة ، فى كل جريمة غامضة .. من ؟ .. وكيف ؟ .. ولماذا ؟ ..

وابتسم وهو يقول :

ــ وأعترف أن الأمر قد أثار حَيْرتى وارتباكى لفترة طويلة ، فكلما تركَّزت شبهاتى على أحد الموجودين ، لقى مصرعه قتلًا ، حتى كدت أتراجع عن نظريتى ، وأميل إلى تصديق نظرية العالم الثنائى الأبعاد .

وأشار بسبَّابته إلى (رمزى) ، وهو يبتسم مردفًا :

ــ حتى قادنى (رمزى) إلى الحل .

اتسعت عينا (رمزى) ، وهو يهتف فى دهشة :

ــ أنا ؟!

ضحك (نور) ، وهو يقول :

ــ نعم يا صديقى .. لقد قُدتنى إلى الحل دون أن تدرى ، حينما قلت فى طريق عودتنا إلى هنا : أنك كنت تظن الأمر مجرَّد مزحة .

تبادل أفراد الفريق نظرات الحَيْرة ، ثم غمغم (رمزى) :

ــ لست أجد رابطًا بين عبارتى ، وتوصُّلك إلى أن (نادر) وراء كل هذا ، على الرغم من أنه أول من لقى مصرعه ، حسبما ظننا على الأقل .

لوَّح (نور) بكفِّه ، وهو يقول :

ــ ربما ليس مباشرة ، ولكن العقل البشرى يعرف ما نطلق عليه اسم (تداعى الأفكار) .. وهذا يعنى أن عبارة واحدة قد تقود إلى تذكُّر أخرى ، وتلك الأخرى تقود إلى مشهد أو حدث أو عبارة ثانية ، وثالثة .. وهكذا تتداعى عدة أحداث دفعة واحدة ، ويؤدِّى تجمعها إلى صنع صورة جديدة ، تؤدِّى إلى

الحل .. وفى حالتنا هذه قادتنى عبارتك إلى استعادة عدة أشياء ..

أولًا : هواية الدكتور (صبرى) (رحمه الله) فى المزاح ، وتدبير المقالب ، والتى قادته إلى حتفه ..

ثانيًا : قولك إنك لم تفحص جثة (نادر) ، وأن الدكتور (صبرى) هو الذى فحصها ..

ثالثًا : أن ضيوف (نادر) الثلاثة (صبرى) و (فكرى) و (درويش) كانوا أقرب المقرَّبين لوالده ..

رابعًا : مصرع والد (نادر) منذ ثلاثين عامًا ، وقيْد الحادث ضد مجهول ..

خامسًا : آخر عبارة نطق بها (فكرى) قبل مصرعه ، والتى تتعلَّق باللوحة الملعونة ..

سادسًا : الشحوب غير الطبيعى فى وجه (نادر) ..

سابعًا : إيمان الدكتور (صبرى) بأسطورة لعنة (السَّحاب الأحمر) بخلاف (فكرى) و (درويش) ..

ثامنًا : دخوله إلى حجرة المكتب بمفرده ، فى أثناء تشاورنا ، على الرغم من ثقته ــ التى أوهمنا بها ــ فى وجود اللعنة .

هتف (رمزى) فى دهشة :

ــ كل هذا من عبارتى الصغيرة ؟

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

ــ بل أكثر من هذا يا صديقى .

ثم اعتدل مستطردًا فى اهتمام :

ــ وبربط هذه النقاط بعضها ببعض اتضحت الصورة واكتملت .. ولكى نفهم الأمر ونستوعبه ، علينا أن نعود إلى ستين عامًا مضت .. إلى مصرع جَدّ (نادر) ..

وتنهَّد وكأنه مستعد لشرح أمر طويل ، قبل أن يشبك أصابع كفَّيه ، ويواصل قائلًا :

ــ لقد كان جَدّ (نادر) ساديًّا بالفعل ، حتى أنه أصرَّ على شراء لوحةٍ مخيفة ، ووضعها فى مكتبه ، حتى يلذّ له رؤية علامات الفزع فى وجوه زائريه .. ولقد أعجبت اللوحة صديقه اللورد الإنجليزى ، وحاول أن يثير فَزعه بشأنها ، حتى ينجح فى الحصول عليها لنفسه ، ولكن الجدّ لم يتخلَّ عن لوحته الأثيرة ، وربما قتله اللورد نفسه ليحصل عليها ، ولكنه لم يجد الوقت الكافى للفرار بها .. وورث والد (نادر) اللوحة ، ضمن ما ورث من ممتلكات والده .. ولا ريب أنه كان يكنّ لوالده حبًّا بالغًا ، ووفاءً عظيمًا ، حتى أنه ظلَّ يؤبِّن ذكراه طيلة ثلاثين عامًا ..

وفى الذكرى الثلاثين لقى الوالد مصرعه ، وعجزت الشرطة عن إثبات التهمة ، أو العثور على القاتل ، ولم يكن أمامها إلّا قيد الحادث ضد مجهول ، ولكن (نادر) لم يغفر لقاتل والده أبدًا .. ولقد كان متأكّدًا بوسيلة ما من أن القاتل هو أحد أصدقاء والده المقرَّبين ، (صبرى) أو (فكرى) أو (درويش) ، ربما لأنهم الوحيدون الذين يمكنهم زيارة والده فى مكتبه فى ذلك الوقت المتأخر ، الذى حدثت فيه الجريمة .. ولقد حاول (نادر) أن يعثر على القاتل بين هؤلاء الثلاثة ، ولكنه فشل ، فقرَّر بعد ثلاثين عامًا ، التخلُّص منهم جميعًا ..

ساد الصمت لحظة ، ازدرد (نور) خلالها لُعابه ، ثم عاد يقول فى هدوء :

ـــ وبدأ (نادر) يخطِّط لانتقامه فى صبر وذكاء وإحكام ، فقد كان عليه أن ينتقم من قاتل والده ، فى شخص هؤلاء المساكين الثلاثة ، دون أن تتطرَّق الشُّبهة إليه ، ودون أن يضطر لمواجهة تحرِّيات الشُّرطة .. بل إنه إحكامًا للخُطَّة ، قرَّر أن ينهى حياته كـ (نادر) ، ليبدأها بعد تنفيذ انتقامه باسم جديد ، وشخصية بعيدة عن الشُّبهات .. وواتته الفكرة حينما قرأ مقالًا عن لعنة لوحة (السَّحاب الأحمر) المفقودة ، وتذكَّر

اللوحة المخيفة فى مكتب والده ، وجَدّه ، وقدَّر أن أحدًا لن يذكر ما إذا كانت هى نفسها (السَّحاب الأحمر) أم لا .. وبسرعة أعدَّ خُطَّته الشيطانية المُحْكمة ، واختار رسامًا إيطاليًا بارعًا ، وطلب منه أن يرسم له نسخة من لوحة (السَّحاب الأحمر) ، ثم طلب منه صنع عدة نسخ من اللوحة نفسها ، بحيث تختفى صورة البارون (ملڤن) من إحداها ، وتضاف إلى الأخرى رأس (نادر) نفسه ، وإلى الثالثة رأس (صبرى) .. وهكذا .. وبعد أن حصل على هذه المجموعة من اللوحات ، أخذ يعرِّضها لدرجات حرارة مرتفعة ولمعاملات كيميائية خاصة ، حتى تبدو وكأنها مرسومة منذ قرون ، وهذا أسلوب مألوف ، يستخدمه مزوِّرو اللوحات الفنية النادرة منذ أكثر من قرن(*) وبعد أن أعدَّ عُدَّته ، وابتاع ثيابًا تشبه ثياب البارون (ملڤن) ، من أحد محال أزياء المهرجانات ، وصنع ذلك القناع المطَّاطى الشبيه بوجهه ، وتدرَّب على استخدام ذلك السيف الرفيع فى مهارة ، عاد إلى مصر ، وذهب على الفور إلى الدكتور (صبرى) صديق والده القديم ، والمعروف بشغفه الشديد بالمزاح

(*) حقيقة .

والدعابات الثقيلة ، وشرح له الأمر على أنه مزحة أعدَّها لأصدقائه ، وأقنعه بقبول مشاركته فيها .. ولا ريب أن الطبيب الكهل قد شعر بالسعادة ؛ لاستعادته ذلك المرح الذى اشتهر به فى شبابه ، دون أن يعلم أنه سيذهب ضحية ذلك .. وبعد أن اطمأن (نادر) إلى مشاركة الطبيب ، استنزف بعضًا من دمه ، واحتفظ به فى برَّاد خاص ، وهذا هو سرّ شحوبه غير الطبيعى ، حينما أتى إلىَّ ؛ لأنه كان قد استنزف دمه لتوِّه ، حتى يبدو طازجًا ، حينما نجده على اللوحة الزائفة فى المساء .

صمت (نور) لحظة أخرى ، وكأنما أرهقه الحديث على هذا النحو المتصل ، فهتفت به (سلوى) فى فضول ولهفة :

ـ ولماذا لم يرتكب جريمته فى سكون ، دون أن يشركنا فى الأمر ؟

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

ـ كانت هذه خطوة شديدة البراعة والجُرأة منه يا عزيزتى .. فلقد أراد أن يحصل على شهادة من خبير فى حلِّ الألغاز الغامضة ، بأنه غير مسئول عن مصرع الثلاثة ، وبأنه نفسه قد لقى مصرعه .. ومن الواضح أنه كان يثق فى ذكائه وبراعته كثيرًا ، وإلَّا فما لجأ إلى هذه الخطوة ، التى تزيد الأمور تعقيدًا ، والتى كانت السبب فى هزيمته .

وتنهَّد (نور) ، قبل أن يواصل قائلًا :

ـ المهم أنه نجح فى إقناعى بالقدوم إلى هنا ، وجعلنا نرى لوحة (السَّحاب الأحمر) ، وأقنعنا بأنها اللوحة التى كان يحتفظ بها جدّه ، واستعدَّ للَحظة التى يخدعنا فيها جميعًا .. ولقد بدأت الخدعة حينما قفز من مقعده ، ونجح فى تمثيل دور الرجل الذى نجا من الموت بأعجوبة ، وابتعد عنا إلى حيث الساعة الكبيرة ، حتى لا يصل إليه أحدنا ، حينما يعمل جهاز فصل التيَّار الكهربى ، المبرمج للعمل فى وقت محدَّد مسبقًا .. وعندما قُطِع الضوء ، وخدعتنا أجهزة البث الصوتى الدقيقة التى دسَّها فى مكان خفِىّ بالبهو ، حينما أرسلت صوت أقدام الشَّبح البطيئة الثقيلة ، صرخ هو فى رُعب ، وأسرع يختفى فى حجرته ، التى تتصل عَبْر نفق سِرِّىّ بمدخل خفِىّ آخر ، غير ذلك الذى حاول فيه قتل (سلوى) ، فى حجرة المكتب .. وهذا النفق السِّرِّى الثانى يبدأ مدخله بذلك الحائط الذى ثبَّت فوقه لوحة (السَّحاب الأحمر) .. وحينما عادت الأضواء ، وأصابنا الارتباك لاختفائه ، كان هو قد أبدل اللوحة بأخرى لا تحوى صورة البارون (ملفن) ، وسكب فوقها ذلك الدم الذى يحتفظ به من دمه ، ثم أسرع إلى حجرته ، ينتظر الدكتور

(صبرى) ، الذى بدأ يحرّك الأحداث بأداء تمثيلى رائع ، وهو يضحك عن حَيْرتنا من أعماق قلبه ، وينتظر تلك اللحظة المرحة ، التى يكشف لنا فيها الأمر .. وإمعانًا فى الخداع ، تظاهر بفحص جسد (نادر) ، وأعلن مصرعه .. ولمَّا كنا لا نشك ــ حينذاك ــ فى نزاهته ، فقد صدَّقنا قوله ، ولم نحاول فحص الجثة الزائفة بدورنا .. وبعد أن غادرنا الحجرة ، أسرع (نادر) يرتدى ثوب البارون ، ويضع على وجهه قناعه المطَّاطىّ الرقيق ، استعدادًا لتنفيذ الخطوة الثانية من خُطَّته .

ساد الصمت لحظة أخرى ، قبل أن يتابع (نور) :

ــ وبدأ الدكتور (صبرى) يبذل أقصى جهده لإقناعنا بالأمر ، فأيَّد قصة (نادر) عن اللوحة ، وأوعز إلينا باختفاء جثة (نادر) ، الذى أخذ يبدِّل اللوحات على نحو أصابنا بالارتباك والحَيْرة .. ولقد لاحظ (فكرى) أن اللوحة الموجودة فى المكتب ، ليست هى اللوحة نفسها ، التى كان يحتفظ بها والد (نادر) و (جدّه) .. ونظرًا لمعرفته السابقة بدعابات (صبرى) ، فهم الأمر فى الحال ، ولكنه لم يلبث أن أصيب بالرُّعب ، حينما أعلنت أنا اختفاء جثة (نادر) .. ولقد حاول أن ينذر الدكتور (صبرى) للتوقُّف عن مواصلة هذه المزحة

الثقيلة ، وهذا ما جعل (صبرى) يدخل إلى حجرة المكتب ، فى محاولة لإقناع (نادر) بالتوقُّف عن اللُّعبة ، ولكنه لم يكن يتوقَّع أن (نادر) قد قرَّر التخلُّص منه أيضًا ، حتى يزيحه عن الطريق ، ويضمن استمرار الخُطَّة بنجاح .. ولقد فهم (فكرى) الموقف ، وعرف أن (نادر) ينوى قتله ؛ ولذا أخذ يردِّد فى رُعب أن دوره آت ، وحينما داهمته تلك الأزمة القلبية ، أراد أن ينبهنا إلى أن اللوحة الموجودة فى المكتب ليست حقيقية .. ولكن (نادر) أسرع يطفئ الأنوار ، ويبعث أصوات الأقدام الثقيلة ، وهو يعلم أن قلب (فكرى) الضعيف لن يحتمل .. ولقد انهار قلب (فكرى) بالفعل ، ولم يحتمل خوفه من القتل ، فلقى مصرعه .. وحقَّق (نادر) انتصاره الثانى ..

ومطَّ شفتيه فى أسف ، ثم عاد يستطرد فى هدوء :

ــ وحينما غادرت أنا القصر ، وبقى (محمود) و (سلوى) و (درويش) وحدهم ، تحدَّث (درويش) عن الممرَّات السرِّيَّة ، وبدأ الثلاثة يبحثون عن الممرَّات الموجودة فى حجرة المكتب .. وخشى (نادر) أن تفتضح خُطَّته ، بعد أن شارفت على الفوز ، فأسرع يطفئ الأنوار ، وتسلَّل عَبْر المخرج السرِّيّ الآخر ، الموجود خلف الحائط الذى علَّق فوقه اللوحة ،

والذى يخفى فيه جثث ضحاياه ، وبدّل باللوحة الأخرى الخالية من صورة البارون (ملقن) ، ثم هاجم الثلاثة ، واستغل عامل المفاجأة ، والخوف الذى أحدثه ظهوره فى نفوسهم ، وطعن (درويش) طعنة قاتلة ، وحاول أن يقتل (محمود) ، ولكنه لم ينجح إلّا فى طعن ذراعه .. وحينما رأى (سلوى) تختفى فى الممر السِّرّىّ ، لم يحاول مطاردتها على الفور ، مطمئنًا إلى أنها ستجد أمامها طريقًا مسدودًا فى النهاية .. واهتمَّ أولًا بنقل جثتى (فكرى) و (درويش) إلى المخبإ السِّرّى الآخر ، وأبدل اللوحة بتلك التى تحمل الرءوس الأربعة .. ثم بدأ يطارد (سلوى) ، وهو ينوى التخلُّص منها ، ثم مغادرة المكان ، ويترك لنا لُغزًا نحار فى تفسيره على حين يكون هو فى طريقه إلى (إيطاليا) ، ليبدأ هناك حياته الجديدة ، بعد أن حقَّق انتقامه .

لم يكد(نور) يتم عبارته ، حتى ارتفع صوت غاضب يقول :

ــ أنت عبقرى أيها الرائد .. إنك لم تجاوز الحقيقة بجزء ولو ضئيل من الأحداث .

التفت الجميع إلى مصدر الصوت فى دهشة ، وتضاعفت دهشتهم حينما رأوا (نادر) واقفًا ، وقد تحرَّر من أغلاله ، واستعاد سيفه ، وأخذ يحدجهم بتلك النظرة التى تفيض بالوحشية والبغض ..

نظرة قاتل !!

* * *



١٢ ـ المواجهة الأخيرة ..

حدَّق أفراد الفريق فى وجه (نادر) فى دهشة ، فيما عدا (نور) ، الذى عقد حاجبيه وهو يقول فى برود :

ـ كيف تخلَّصت من قيودك ؟

ضحك (نادر) فى مزيج من السخرية والشراسة ، وهو يقول :

ـ قيودك البلهاء هذه لا تعوقنى .. لقد أذبت قفلها بشعاع ليزر صغير من خاتمى .

نهض (نور) يواجهه فى هدوء ، وهو يقول :

ـ إن كنت تظن أنك ستنجو بعد كل ما فعلت ، فأنت واهم .. لقد خسرت معركتك ، ولا مفرَّ أمامك من الاستسلام .

أطلق (نادر) ضحكة ساخرة ، وقال :

ـ خسرت معركتى ؟!.. أنت مخطئ أيها الرائد .. لقد حقَّقت ماكنت أسعى إليه ، وانتقمت من قتلة والدى ، وهذا يكفينى .

التقى حاجبا (نور) فى صرامة ، وهو يقول :

ـ لقد سفكت دماء بريئين فى سبيل انتقامك الأعمى هذا ، وأنت تعلم أن واحدًا فقط من هؤلاء الثلاثة هو قاتل والدك ، وكان يمكنك اللُّجوء إلى القانون بدلًا من ذلك .

صاح (نادر) فى غضب :

ـ القانون ؟!.. لقد عجز القانون عن الانتقام لى .

أجابه (نور) فى حِدَّة :

ـ ولماذا لم تطلب معاونتى ؟.. ألم يكن هذا أكثر جدوَى من انتقامك ؟

أطلَّت الكراهية من عينى (نادر) ، وهو يقول :

ـ لقد أصابك الغرور أيها الرائد .. صحيح أنك أثبت عبقرية فذَّة ، حينما كشفت لُعبتى ، على الرغم من إتقانها الشديد ، ولكن كيف يمكنك حلّ لُغز قضية مرَّ عليها ثلاثون عامًا ؟

هتف (نور) فى حَنَق :

ـ ولكننى فعلت أيها الأحمق .. لقد كشفت شخصية قاتل والدك .

اتسعت عينا (نادر) فى ذهول ، وشاركه أفراد الفريق دهشته ، إلَّا أنه سبقهم بالقول :

ـــ كشفت شخصية قاتلَ والدى !!.. كيف ؟

لوَّح (نور) بذراعه فى ضيق ، وهو يقول :

ـــ لو أنك استخدمت نصف الذكاء ، الذى ارتكبت به جريمتك النكراء ، لأمكنك التوصُّل إليه فى سهولة ، كما فعلت أنا .

وتقدَّم إلى الأمام فى بطء ، وهو يستطرد :

ـــ كان يكفى أن تعلم حقيقة واحدة ، وهى أن مسرح الجريمة قلَّما ينمحى من ذاكرة القاتل ؛ لأنه يكون فى لحظة القتل حادّ الحواس إلى درجة تفوق طبيعته .. وصحيح أن المجرم يعود دائمًا إلى مسرح الجريمة ، ولكنه يفعل ذلك بنوع من تأنيب الضمير ، ولا يفارقه الاضطراب حتى يغادره .. وهذا يعنى أن القاتل ليس الدكتور (صبرى) ، الذى عاد إلى هنا ليسترجع هوايته فى العبث والمزاح والمداعبات ، وليس (درويش) الذى لم يلحظ اختلاف اللوحة المعلَّقة فى الحجرة التى حدثت فيها الجريمة .. إن القاتل هو الرجل الذى أتقَنَ جريمته حتى بدا أكثر كهولة من عمره ، والذى ناءَ قلبه بحمل ضميره المعذَّب ، حتى

لم يعد يحتمل الإثارة والخوف .. إنه الرجل الذى ظلَّ مضطربًا متبرِّمًا طيلة وجوده بالقرب من مسرح جريمته .

اتسعت عينا (نادر) ، وهو يغمغم :

ـــ (فكرى) ؟!

صاح (نور) وهو يواصل تقدُّمه فى بطء وحذر :

ـــ نعم أيها الغبىّ .. (فكرى) هو قاتل والدك ، وهوَ الوحيد الذى لم يغُص سيفك فى قلبه ، الذى انهار من أثقاله ، وتوقَّف بإرادته .

عاد (نادر) يغمغم فى ذهول :

ـــ يا إلهى !!.. (فكرى) ؟!

وفجـأة .. انـقضّ (نور) على (نادر) ، وحـاول أن يمسك معصمه ، ليتفادى سيفه الحادّ ، إلَّا أن (نادر) نفض ذهوله فى سرعة ، وقفز إلى الوراء ، ثم طوَّح بسيفه نحو رقبة (نور) ، الذى غاص بجسده إلى أسفل ، وتفادى النَّصل اللامع ، وعاد ينقضّ على (نادر) ..

وتفادى (نادر) انقضاضة (نور) فى براعة ، وقفز نحو حجرة المكتب ، وهو يلوِّح بسيفه ، ويهتف فى غضب :

ـــ لا تحاول أيها الرائد .. لن يضيرنى ارتكاب جريمة قتل رابعة .



فأسرع (نادر) ينتزع لوحة (السحاب الأحمر) ، ويقذف بها (نور) ، الذى تلقاها على ساعده ..

أجابه (نور) فى صرامة :

ــ ليس قبل أن تدفع ثمن الجرائم الثلاثة الأخرى أيها الوغد .

لوَّح (نادر) بسيفه فى وحشية ، ثم اندفع نحو حجرة المكتب ، واندفع خلفه (نور) ، فأسرع (نادر) ينتزعُ لوحة (السَّحاب الأحمر) ، ويقذف بها (نور) ، الذى تلقَّاها على ساعده ، ودفعها بعيدًا عنه ، لتسقط على ظهرها إلى جوار نافذة الحجرة ، التى اقترب منها (نادر) ، وهو يلوِّح بسيفه صائحًا :

ــ ابتعد أيها الرائد .. إنك لن توقفنى .. لن توقفنى بعد أن وصلت إلى كل هذا .

أجابه (نور) فى صرامة :

ــ لن تجد مكانًا تذهب إليه .. سيطاردك كل شرطىّ فى مصر كلها .

امتلأت ملامح (نادر) بالغضب ، وصاح فى جنون :

ــ إليك عنِّى .

وقفز نحو النافذة ، محاولًا اختراق زجاجها ، والفرار إلى الخارج ..

وفجأة .. حدث أمر لم يضعه (نادر) فى حسبانه ، وهو يعدّ خُطَّته المُحْكمة ..

لقد ارتطمت قدمه بحاجز النافذة السفلى ، واصطدم سيفه بحاجزها الجانبىّ ، وسقط السيف فى نفس اللحظة التى تعثَّر فيها (نادر) ، كما لو أن يدًا خفيَّة قد جذبته إلى الوراء ..

ولم يدرك (نور) كيف حدث هذا ؟!.. ولكن المشهد انتهى بنصل السيف وهو يغوص فى قلب (نادر) ، وينفذ من ظهره ، كما لو أنه تلقَّى طعنة مُحكمة من مبارز بارع ، وجحظت عيناه ، وامتلأتا بمزيج من الرُّعب والألم ، ثم خبا بريقهما ، ولفظ أنفاسه فوق لوحة (السَّحاب الأحمر) ، التى اصطبغت بدمائه ، وهى ترقد ساكنة .. وخُيِّل لـ(نور) فى جزء من الثانية ، أن ابتسامة ارتياح قد ارتسمت على وجهى (صبرى) و (درويش) ، المرسومين وسط اللوحة ، قبل أن تغطيهما الدماء ، وتمحوهما من أمام عينيه .

* * *

١٣ ــ الختام ..

تسلَّل بعض من أشعة الشمس عَبْر فجوة صغيرة بين الغيوم ، التي بدأت تنقشع فى بطء ، بعد أن تحوَّل المطر المنهمر منها إلى رذاذ خفيف ، وسقطت خيوط الأشعة الذهبية فوق القصر القديم ، الذى بدا مكتظًا بالحركة ، ورجال الإسعاف ينقلون جثث ضحايا شهوة الانتقام الأربعة إلى الهليوكوبتر الطبية الخاصَّة .. فى حين وقف (نور) يراقب الموقف فى أسف ، وحوله (سلوى) و (رمزى) و (محمود) ، وغمغمت (سلوى) فى ألم :

ــ يا لهم من مساكين !! لقد أمهلهم القدر ثلاثين عامًا ، ثم سلب أرواحهم بلا رحمة .

مطَّ (نور) شفتيه ، وقال :

ــ دَعِينا لا نلقى اللَّوم على القدَرِ ، كلما ارتكب شخص ما خطيئة .

أومأت برأسها فى سكون ، فى حين غمغم (رمزى) :

— ولكن القدر تدخَّل بالفعل يا (نور) ، ليلقى (نادر) جزاءه من جنس عمله .

صمت (نور) لحظة ، ثم أجاب فى صوت مرتجف :

— لست أدرى كيف يمكننى تفسير ما حدث لـ (نادر) يا (رمزى) ، ولكننى شعرت بتيَّار بارد مخيف ، قبل أن يسقط (نادر) فوق سيفه .

هتف (محمود) فى دهشة :

— (نور) !!.. هل ستتخلَّى عن رفضك لفكرة الأشباح .

هزَّ (نور) رأسه نفيًا ، وقال :

— كلَّا بالطبع يا (محمود) .. ولكننى حينما أستعيد ذلك المشهد الأخير ، أعجب كيف لم يسقط (نادر) إلى خارج النافذة ، حينما ارتطمت قدمه بحاجزها السفلى ، تبعًا لنظرية القصور الذاتى ؟.. وكيف سقط داخل الحجرة على هذا النحو العجيب ؟.. وكيف تأتَّى لسيفه أن يسقط ومقبضه إلى أسفل ، بحيث يخترق قلبه مباشرة على هذا النحو ؟

غمغمت (سلوى) :

— لقد انتقمت أرواح ضحاياه .

هزَّ (نور) كتفيه ، وابتسم ابتسامة باهتة ، وهو يقول :

— لن أناقش عبارتك هذه يا (سلوى) ، ولكن ذلك لا يعنى أننى أؤمن بها .

ثم أشار إلى السماء ، وهو يستطرد :

— لقد انقشعت الغيوم تقريبًا .. ما رأيكم لو بقينا حتى يتم إصلاح سيارتى ؟ و ....

هتفت (سلوى) :

— لا يا (نور) .. لن أحتمل البقاء هنا لحظة أخرى .. سأذهب إلى مدينة (الفيوم) ، ولو فعلت ذلك سيرًا على الأقدام .

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

— دعونا نحاول دراسة هذا الاقتراح .. إن سرعة سير الإنسان العادىّ ستة كيلومترات فى الساعة ، وهذا يعنى أننا سنحتاج إلى ساعتين إلَّا ثلث الساعة لقطع الكيلومترات العشرة ، التى تفصلنا عن مدينة الفيوم .

هزَّ (رمزى) كتفيه ، وقال :

— إننى أحتاج إلى بعض النزهة .

وضحك (محمود) ، وهو يقول :

ـ سيكون من الطريف أن نسير قليلاً .

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

ـ الموافقة إذن بالإجماع .. هيَّا بنا .

وبدأ الفريق سيره ، فى نفس الوقت الذى ارتفعت فيه الهليوكوبتر الطبِّية ، وغمرت أشعة الشمس الدافئة المكان ، وأُسْدِلَ الستار على أسطورة (السَّحاب الأحمر) ..

باسل

* * *

Www.dvd4arab.com

[تمَّت بحمد الله]

رقم الإيداع ٣٢١٥